

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



المصطلح النحوي في آثار محمد الطاهر التليلي

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص: النحو العربي مدارسه ونظرياته

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد جلايلي

إعداد الطالبة:

قمره كرام

أعضاء اللجنة المناقشة:

رئيس	جامعة ورقلة	أستاذ محاضر (أ)	د: العيد جلولي
مشرفا ومقررا	جامعة ورقلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د: أحمد جلايلي
عضوا مناقشا	جامعة ورقلة	أستاذ محاضر (أ)	د: أحمد بلخضر
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د: المهدي بوروبة

السنة الجامعية: 1430/1431 هـ - 2009/2010 م

فهرس المحتويات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة.....	(ا - و)
الفصل الأول: المصطلح النحوي.....	02 - 54
توطئة - مفهوم المصطلح النحوي.....	02
بنية المصطلح.....	06
مقتضيات المصطلح النحوي.....	08
شروط صياغة المصطلح النحوي.....	13
طرائق صياغة المصطلح.....	14
مشكلات المصطلح النحوي العربي.....	22
المصطلحات النحوية في كتاب سيبويه.....	26
صور الخلاف المصطلحي بين البصرة والكوفة.....	33
المصطلح النحوي في المدرسة البغدادية.....	47
المصطلح النحوي في الأندلس.....	50
المصطلح النحوي في مصر والشام.....	52
الفصل الثاني: حياة الشيخ محمد الطاهر التليلي.....	56 -
95	
توطئة- البيئة الزمانية.....	57
البيئة المكانية.....	63
الحياة الشخصية والعلمية.....	67
آثار الشيخ محمد الطاهر التليلي.....	85
جهود التليلي في علوم القرآن.....	85
جهود التليلي اللغوية والأدبية.....	91
مؤلفات أخرى في أغراض مختلفة.....	93

الفصل الثالث: الشيخ محمد الطاهر التليلي والمصطلح النحوي.....	97-
	124
المباحث النحوية عند الشيخ محمد الطاهر التليلي.....	97.....
أنواع الإعراب	97
الجمل التي لا محل لها من الإعراب.....	100
الجمل التي لها محل إعرابي	102
أنواع التتوين	106
كتابة الألف اللينة	110
رسم الحروف في آخر الكلمة	112
أدوات الاستفهام	113
المصطلح النحوي عند الشيخ محمد الطاهر التليلي	116
المصطلحات البصرية	116
المصطلحات الكوفية	117
اجتهادات التليلي في المصطلح النحوي.....	119
تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد	123
الخاتمة	126
ملخص البحث	129
الملاحق	131-136.....
سينية "الكتاب".....	131
منظومة حياة الشيخ التليلي	132
مرثية أحمد الطيب معاش في تأبين الشيخ التليلي	133
منظومة مؤلفات الشيخ التليلي	134
نماذج من المنظومات النحوية	135
قائمة المصادر والمراجع.....	138
فهرس المحتويات	149

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين فأثار به قلوب عباده المتقين، والصلاة والسلام على خير خلقه النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحابتة والتابعين وبعد:

لقد أبلى الأولون بلاء حسنا في علم النحو حتى وصل إلينا علما ناضجا مكتملا، ذلك أنهم حددوا أبوابه وأقسامه وضبطوا رموزه ومفاهيمه، وعكف عليه الدارسون من بعدهم بحثا وتمحيصا، حتى قام صرحه وأحكم بناؤه، فلا يلج بابه إلا من فقه مصطلحاته؛ هذه المصطلحات التي نعتها العلماء بأنها مفاتيح العلوم، ولكنها مفاتيح لا تحسن استخدامها جميع الأيدي. فالأعرابي حين سئل: أتهمز إسرائيل؟ رد قائلا: إني إذن لرجل سوء، وحين سئل: أتجر فلسطين؟ قال: إذن أنا رجل قوي.

فمن الواضح أن هذا الأعرابي لم يكن يعرف لهذه المصطلحات أكثر من معناها اللغوي، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تأخر البحث في علم المصطلح، لاسيما فيما يخص المصطلح النحوي. لذلك بذل النحاة المتقدمون والمتأخرون قصارى جهدهم لضبط معاني ومدلولات هذه المصطلحات حتى صرنا نميز كل مدرسة أو اتجاه نحوي بمصطلحاته الخاصة فنقول: مصطلح سيبوي نسبة إلى سيبويه ومصطلح بصري نسبة إلى مدرسة البصرة ومصطلح كوفي نسبة إلى مدرسة الكوفة وهكذا.

ومن ثم توالت التأليفات والتصنيفات في هذا المجال، ولعل أشهرها كتاب "عوض حمد القوزي" الموسوم بـ (المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري)، حيث قدم فيه دراسة تاريخية تطويرية للمصطلح النحوي، وقد سار على نهجه الأستاذ "عمر حدوارة" عند دراسته لنشأة المصطلح الكوفي في رسالته التي وسمت بـ (المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين)، وكتاب "توفيق قريه" الذي قدمه تحت عنوان (المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب) وفيه نلمس التوجه الفكري، إذ اتخذ المؤلف المصطلح النحوي معبرا إلى فكر منتجيته، وكأنه متأثر بما ذهب إليه السهيلي في القرن السادس الهجري حين ألف (نتائج الفكر في النحو)، وقد أفصح قريه عن هذا التوجه في مؤلف ثان له صدر مؤخرا تحت عنوان (العرفاني في

الاصطلاح النحوي العربي) حيث عمد إلى استكناه الدلالات الخفية للمصطلح النحوي على ضوء ما سماه (خلفيات النظرية).

وبالرغم من أن هذه الجهود النحوية كانت لها أهمية كبيرة في مجال المصطلح النحوي لما قامت به من ضبط مفاهيمه وتحديد معالمه؛ إلا أنها أثارت إشكاليات عديدة أمام دارسي هذه المصطلحات إذ باتت الضرورة ملحة للإلمام بكل هذه المحاولات، بل فضل بعض الأعلام انتهاج منهج انتخابي يسن لهم انتقاء أيسر المصطلحات من مختلف الاتجاهات النحوية، وتقديم بدائل جديدة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وهو ما ذهب إليه النحاة المتأخرون في كل من: بغداد والأندلس ومصر والشام... ولا يتوقف ذلك عند جهود هؤلاء، بل لا تزال تظهر بين الفينة والأخرى مصطلحات نحوية غير التي ألفناها - وإن كانت قليلة- من شأنها أن تجعل استقرار المصطلح النحوي أمرا نسبيا، ولكنها لا تزال متناثرة في طيات مؤلفات أغلبها مخطوطة تنتظر من ينفذ غبارها ويسهر على تحقيقها ويخرجها إلى النور.

ولقد كان هذا المنطلق حافزا مهما في تشكيل نواة هذا البحث، وباعثا رئيسيا على اختياري لهذا الموضوع، حيث اقترحتة للدراسة ثم ضبطت زاوية النظر فيه حين صادفتي قيسات من تراث الشيخ التليلي، أحد أعلام الجزائر المعاصرين، فاستقر عنوان بحثي على النحو التالي:

"المصطلح النحوي في آثار محمد الطاهر التليلي"

حيث لفتت آثار الشيخ اهتمامي كما لفتت اهتمام غيري من الدارسين المعاصرين، فسُلِّطت عليها أضواء من عدة زوايا مختلفة منها الدينية والتاريخية والأدبية...، ولعل أبرزها ما خصه به الدكتور أبو القاسم سعد الله من إحالات في ثنايا موسوعته التاريخية "تاريخ الجزائر الثقافي"، أو بعض المقالات أهمها: "فقيه العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر التليلي" و"الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي"، أو ما ورد مؤخرا في رسالتي ماجستير الأولى قام بها الأستاذ محمد بن سعد طالبي بعنوان "الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن" والثانية قدمتها

الأستاذة فضيلة بوجلخة تحت عنوان "الظواهر المعنوية والفنية في ديوان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر التليلي".

أما الجانب النحوي في آثار الشيخ التليلي فلم يحظ بعناية هؤلاء ولا غيرهم، ولا زال لم يخرج إلى النور بعد. لذا حاولت في هذا البحث أن أقطع الشوط الأول لهذه المسيرة من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات أوجزها فيما يلي:

- هل ظل المصطلح النحوي الذي ظهر مع سيبويه ومعاصريه ثابتا مستقرا؟ أم أنه اختلف باختلاف الاتجاهات والنحاة من بعده؟

- كيف كان موقف الدارسين المحدثين من مصطلحات النحاة البصريين والكوفيين؟ وهل اكتفى هؤلاء بهذه الثروة المصطلحية الموروثة؟ أم استطاعوا أن ينفردوا بمصطلحات نحوية جديدة؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي تقودنا إلى إشكال جوهري هو محور موضوعنا ألا وهو:

- ما مدى توظيف الشيخ محمد الطاهر التليلي للمصطلح النحوي؟ وإلى أي المدارس النحوية كان أميل في مصطلحاته؟ وهل توصلت جهوده إلى إبراز مصطلحات نحوية جديدة؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اقتضى تصوري للبحث أن توزع خطته على ثلاثة فصول وخاتمة كما يلي:

الفصل الأول: وخصصته للوقوف عند المصطلح النحوي من حيث ضبط مفهومه، وعناصر بنيته، واستعراض مقتضياته، وتحديد شروط صياغته وطرائقها، ثم المشكلات التي واجهها المصطلح النحوي العربي؛ لأختم الفصل بنبذة مختصرة حول نشأة المصطلح منذ ظهوره حتى استقراره، من خلال جهود النحاة على اختلاف مدارسهم واتجاهاتهم.

الفصل الثاني: ويتطرق إلى حياة الشيخ محمد الطاهر التليلي بشيء من التفصيل من خلال التعرف على البيئة الزمانية والمكانية التي نشأ فيها، ثم نتبع مراحل حياته الشخصية والعلمية، لنقف في الأخير على الآثار التي خلفها الشيخ التليلي في شتى المجالات.

الفصل الثالث: يتركز جهدنا في هذا الفصل على استقصاء المصطلحات النحوية التي وظفها التليلي في مؤلفاته سواء كان ذلك بشكل مباشر في صورة منظومات نحوية خالصة، أو تعلق الأمر بالمصطلحات النحوية المنتثرة في طيات مطبوعات ومخطوطات شتى، مع التركيز على اكتشاف مذهب النحوي، والحرص على الوقوف عند المصطلحات التي قد يكون انفرد بها ومحاولة استكناه مدلولاتها.

أما الخاتمة فقد كانت خلاصة النتائج التي أدركتها فصول البحث وعناصره، وإجابة مباشرة على الإشكاليات المطروحة فيه.

وقد فرضت طبيعة الموضوع وتنوع عناصره تداخل المناهج الآتية: المنهج الوصفي التحليلي في الفصل الأول لتجلية دلالة المصطلح والمقتضيات المتعلقة به، والمنهج التاريخي في الفصل الثاني لأنه مناسب لترجمة وسير الأعلام، أما الفصل الثالث فقد احتاج إلى منهج استقصائي تحليلي يتناسب مع تتبع المصطلحات النحوية وبيان مدلولاتها.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تطرق الجانب المسكوت عنه من تراث الشيخ التليلي، كما أنها تعالج المصطلح النحوي لدى أحد الأعلام المعاصرين، على خلاف ما اعتاده الباحثون وهو ملازمة المصطلح النحوي لمدرستي البصرة والكوفة، إذ تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الوقوف عند مفهوم دقيق للمصطلح النحوي والأسس العلمية التي يقوم عليها.
- التأكيد على ضرورة الاهتمام بالمصطلح النحوي العربي وضبط معالمه وأركانه.
- التعرف على مسيرة المصطلح النحوي ومصيره بعد مدرستي البصرة والكوفة.
- لفت الانتباه إلى آثار الشيخ محمد الطاهر التليلي والتنبيه على ضرورة التركيز عليها وإخراجها إلى النور.

- محاولة إضافة دراسة علمية أكاديمية لما قام به العلماء من أجل إبراز الدور الذي يضطلع به المصطلح النحوي حين يبني بناء سليما يتسم بالدقة والوضوح، وتمهيد السبيل لدراسات أخرى تهتم باستقصاء المصطلح النحوي عند الأعلام المعاصرين.

وبغية تحقيق هذه الأهداف استندت إلى العديد من المصادر والمراجع أهمها: معاني القرآن للفراء، المصطلح النحوي لعوض حمد القوزي، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين لعمر حدوارة، إلى جانب مخطوطات الشيخ محمد الطاهر التليبي المختلفة.

وأبرز ما اعترض سبيلي إلى هذا البحث تلك الحلقة المفقودة في تاريخ المصطلح النحوي منذ استقراره في القرن الثاني أو الثالث الهجري حتى الآن، حيث أغفل الباحثون تتبع المصطلح النحوي طيلة هذه الفترة حتى تكاد تنعدم الدراسات المتعلقة بذلك. بالإضافة إلى ندرة بعض المراجع التي تخدم المصطلح النحوي أذكر منها: المصطلحات النحوية: نشأتها وتطورها (سعيد أبو العزم)، النحو الكوفي (عبد الله حمد الخثران)، في مصطلح النحو الكوفي تصنيفا واختلافا واستعمالا (حمدي محمود حمد الجبالي) وغيرها.

وأخيرا لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور: أحمد جلايلي الذي أنار لي درب البحث وذلك لي صعبه، وتحمل معي عناه طيلة فترة إعدادة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد.

- وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب -

الوادي في: 2009/11/15م

لكل علم مفتاح لا يتم الولوج إليه إلا به، والمصطلحات هي مفاتيح العلوم و"السبيل الأقصر للتواصل بين العلماء"¹ فهي إذن رموز لغوية تحمل بين طياتها مفاهيم علمية مختلفة، وتسعى إلى ضمان عملية التواصل.

والمصطلحات في كل علم على مستوى من الأهمية يجعلها جديدة بالدراسة قبل الخوض في موضوعاته. لذلك كان من الضروري أن أقف بداية مع مفهوم المصطلح بصفة عامة والمصطلح النحوي بصفة خاصة؛ ثم أتطرق إلى القضايا الأساسية للمصطلح النحوي أي ما تعلق ببنائه ومقتضياته، وشروط صياغته وطرائقها، ومشكلاته، لأعرج بعدها على مسيرة المصطلح النحوي منذ ظهوره حتى استقراره، من خلال جهود النحاة على اختلاف مدارسهم واتجاهاتهم.

1. مفهوم المصطلح النحوي: قبل أن أقدم مفهوماً مجملاً للمصطلح النحوي لا بد أن أعرف كلاً شقيه كلاً على حده:

أولاً: المصطلح: المصطلح في اللغة من مادة (ص.ل.ح) وتجمع المعاجم العربية على أنه ضد الفساد يقول ابن منظور: "الصَّلَاحُ ضِدُّ الفَسَادِ... وَالإِصْلَاحُ ضِدُّ الإِفْسَادِ... وَقَدْ إِصْطَلَحُوا وَصَالَحُوا وَتَصَالَحُوا وَإِصْلَاحُوا مُشَدَّدَةٌ الصَّادِ قَلْبُوا التَّاءَ وَأَدْعَمُوهَا فِي الصَّادِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"² وفي معجم العين يقول الخليل: "صَلَحَ الصَّلَاحُ: نَقِيضُ الطَّلَاحِ. وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ وَمُصْلِحٌ فِي أَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ وَالصُّلْحُ: تَصَالُحُ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ"³

¹ من قضايا المصطلح اللغوي العربي: واقع المصطلح اللغوي العربي قديماً وحديثاً، مصطفى طاهر الحيادة. عالم الكتب الحديث، ط:1، الأردن، 2003، ص:11.

² لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم). تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1424هـ/2003م، مادة: (صلح).

³ معجم العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، (دط)، العراق، (دت)، ج:3، ص:117.

فمعناه اللغوي إذن يدور بين الاتفاق واجتتاب الفساد، حيث أن "إصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم"¹، وقد ورد بهذا المعنى بلفظ صلح في القرآن مرتين.² بينما ورد في أحاديث الرسول ﷺ بلفظ اصطح من ذلك قوله: "فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ".

أما اصطلاحا فقد ورد في أمهات الكتب العربية كما هو الحال عند الجاحظ في البيان والتبيين³، وعند ابن سلام في طبقات فحول الشعراء⁴. وقد قدم له الجرجاني عدة تعريفات نذكر منها "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"⁵.

وعموما فالدلالة العلمية للاصطلاح أو المصطلح لا تخرج عن كونه اتفاقا وتواطؤا أو تصالحا يتم بين جماعة معينة على أمر مخصوص، إلا أن هناك من المحدثين من يميز بين الاصطلاح والمصطلح باعتبار أن الأول هو "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها"⁶، أما المصطلح

¹ الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي. دار غريب للطباعة والنشر، (دط)، مصر، 1993، ص:7.

² الرد:23. غافر:08

³ البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر). دار الفكر، (دط)، لبنان، (دت)، ج:1، ص:97.

⁴ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي. تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط:2، جدة، 1974، ج:2، ص:703.

⁵ التعريفات، الجرجاني (الشريف علي بن محمد). دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان، 1995، ص:28.

⁶ النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، علي القاسمي. مجلة اللسان العربي، المغرب، ع:18، 1980، ص:09.

فهو "الوحدة التي يقوم عليها هذا العلم"¹ سواء كانت هذه الوحدة لفظاً مفرداً أو عبارة مركبة.

ثانياً: النحو: يشير ابن منظور في لسان العرب² إلى أن النحو في اللغة له عدة معاني أهمها:

- القصد يقال: نحوت نحوك أي: قصدت قصدك، ونحوت الشيء إذا أمتته.
- التحريف تقول: نحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرّفه.
- المثل تقول: مررت برجل نحوك؛ أي مثلك .
- المقدار تقول له : عندي نحو ألف؛ أي مقدار ألف .
- الجهة أو الناحية تقول : سرت نحو البيت؛ أي جهته .
- النوع أو القسم تقول : هذا على سبعة أنحاء؛ أي أنواع .
- البعض تقول: أكلت نحو السمكة؛ أي بعضها.

وقد صاغ الإمام الداودي هذه الدلالات اللغوية في قوله³:

للنحو سبع معانٍ قد أتت لغةً جمعتها ضمن بيت مفردٍ كَمَلا
قصد ومثل ومقدار وناحية نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

إلا أن المعنى القريب للمعنى الاصطلاحي هو القصد حيث يقول ابن فارس: "النَّحْوُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوُ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أَصُولَ الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ تَتَكَلَّمُ بِهِ..."⁴

¹ المصطلحات النحوية في التراث اللغوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس كمال الحديدي. دار الوفاء، ط:1، مصر، 2006، ص:31.

² لسان العرب، ابن منظور، مادة: (نحا).

³ حاشية الخصري على شرح بن عقيل، الخصري (محمد بن مصطفى). دار الفكر، (دط)، لبنان، 1398هـ/1987م، ج:1، ص:10.

⁴ المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط:2، بيروت، 1998، ص:1017.

أما اصطلاحاً فاستعمالات مصطلح النحو بين أوساط اللغويين والنحاة قديماً تختلف عما هي عليها الآن ، حيث أننا إذا تتبعنا استعمالات المصطلح في التراث النحوي نجده أطلق على مفاهيم مختلفة. فتارة يعبر عنه بالعربية مثلاً في قول أبي عبيدة معمر بن المثنى " أخذ أبو الأسود عن - ابن أبي طالب عليه السلام - العربية"¹ وقول ابن سلام في طبقاته " وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي"² فالعربية هنا لا يقصد بها اللغة العربية، وإنما المقصود علم هذه اللغة الذي عرف فيما بعد بمصطلح النحو.

وأحياناً يعبر عنه بالكلام فأبو الأسود الدؤلي عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي قال: " هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه وصاروا من أهله فلو علمناهم الكلام"³ فهو لا يقصد بالكلام معانيه وإنما دل به على كيفية الأداء السليم للغة أي نحوها.

كما حصل تداخل كبير بين مصطلحي النحو والإعراب وذلك لأن النحو قوامه الإعراب، فهذا ابن منظور يقول في تعريفه للإعراب " ...والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعرّب إذا لم يلحن في الإعراب"⁴ ومما يؤكد ذلك أننا لا نجد لسر صناعة الإعراب الذي ألفه ابن جني صلة بالإعراب بمفهومه الحالي وكذلك الحال بالنسبة إلى إعراب القرآن لابن هشام أو مغني اللبيب عن كتب الأعراب.

¹ أخبار النحويين البصريين، السيرافي(أبو سعيد الحسن بن عبد الله). تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط:1، لبنان، 2004، ص:15.

² طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي. ج:1، ص:12.

³ أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، ص:18.

⁴ لسان العرب، ابن منظور. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، (دط)، مصر، (دت)، ج:2، ص:78.

أما الآن وقد استقر مصطلح النحو، وصار يعرف بأنه " انتحاء سمت كلام العرب"¹ وهو في الأصل مصدر شائع أي: نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهدت الشيء أي عرفته، ثم خص به علم الشريعة من تحليل و تحريم. وعرفه الشيخ خالد الأزهرى بأنه " علم بأصول يعرف به أحوال أبنية الكلام إعرابا وبناءا " ² حيث حصر النحو في معرفة أحوال الكلم من بناء وإعراب، وجعله مستقلا عن الموضوعات الصرفية، إلا أن علم النحو ليس سوى إعراب وبناء.

ولعل صاحب كتاب النحو والنحاة أصاب الهدف حين قال: "علم النحو عند العرب هو العلم الذي يعرف به أحوال أواخر الكلمات إعرابا وبناءا، كما يعرف به النظام النحوي للجملة وهو ترتيبها ترتيبا خاصا بحيث تؤدي كل كلمة فيها وظيفة معينة حتى إذا اختلف هذا الترتيب اختلف المعنى المراد"³

ومن المحدثين من يسلك مسلك ابن جني في تعريفه للنحو بأنه " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك " ⁴ فيجمع بين الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية تحت باب واحد هو باب النحو.

ثالثا: المصطلح النحوي: إذا كان مفهوم المصطلح -كما أسلفنا- هو اتفاق جماعة معينة على أمر مخصوص، فإن مفهوم المصطلح النحوي لا يعدو أن يكون اتفاقا بين النحاة على استخدام ألفاظ دالة على ظواهر نحوية معينة.

¹ الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان). تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، (دط)، لبنان، 1952، ج:1، ص:43.

² شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى. المطبعة الأزهرية، ط:3، مصر، 1344هـ/1925م، ج:1، ص:14.

³ النحو والنحاة: المدارس والخصائص، خضر موسى محمد حمود. عالم الكتب، ط:1، لبنان، 1423هـ/2003م، ص:09.

⁴ الخصائص، ابن جني. ج:1، ص:43.

2. **بنية المصطلح النحوي:** المصطلح النحوي كرمز لغوي له دلالاته اللغوية العامة أي الدلالة المعجمية، وله معناه الخاص في المجال اللغوي .
فإذا كانت الكلمة المعجمية متعددة المفاهيم باختلاف السياقات التي ترد فيها، أو تعدد الكلمات المقابلة لمفهوم واحد وهو ما يدخل ضمن باب التطور الدلالي على سبيل الترادف أو الاشتراك اللفظي.

فإن المعنى الاصطلاحي لا بد أن يخصص لكل مصطلح معنى خاصا به وهذا ما نشهده في الكثير من مصطلحات النحو العربي ذات الكلمة الواحدة من مثل : الاسم، الفعل، الحرف، المبتدأ و الخبر ...

إلا أن النحاة القدامى تنبهوا إلى الغموض الذي يحدثه المصطلح المفرد في كثير من الحالات "فاضطروا إلى أن يخصصوا المصطلح بوصف أو إضافة أو يحددوا المدرسة النحوية"¹ التي ينتمي إليها هذا المصطلح حتى تتحدد دلالاته ويضبط معناه فشكلوا بذلك العديد من المصطلحات المركبة من عنصر رئيس وعنصر محدد سواء نتج ذلك عن طريق التركيب المزجي أو الإسنادي أو العطفية أو الإضافي أو الوصفي.

ولا تقتصر المركبات اللغوية على كلمتين فقط بل قد يكون التركيب ناتجا من عبارتين أو أكثر، كما نجد في النحو العربي تطبيقات أخرى لمصطلح التركيب متمثلة في الأفعال المركبة التي تأخذ حروفا في سياقات بعينها وكذلك الأفعال التي تتعدى بحرف في العربية.²

وإن كان الكلام هنا يتعلق بإضافة السوابق واللواحق وهو من قبيل الدراسة الصرفية، فإن "إتمامها لا يكون إلا لخدمة الكلمة عند دخولها في تركيب، ومن أجل تطويعها لتتلاءم مع التركيبات المختلفة"³

¹ تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمان حسن العارف. عالم الكتب، ط:1، مكة، (دت)، ص:298.

² المصطلحات النحوية في التراث اللغوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس كمال الحديدي. ص:77.

³ المرجع نفسه، ص:85.

3. مقتضيات المصطلح النحوي¹: يلعب المصطلح النحوي دورا مهما في عملية التواصل بين النحاة واللغويين، مثل باقي المصطلحات العلمية، وحتى يتحقق هذا الدور لابد أن تؤدي مقتضياته على الوجه الأمثل، ونقصد بالمقتضيات ما يلي:

- المفهوم واللفظ المناسب: يعد المفهوم البعد الأساسي في قضية المصطلح، باعتباره "الخطوة الأولى في تماسكه كمطلب سوسولوجي وكيان قابل للاستعمال"²

فقبل أن يظهر المصطلح في صورته المادية كان صورة ذهنية مجردة لوحدة منعكسة عن جميع الموضوعات الفردية عامة التي يرتبط بعضها ببعض بسمات مشتركة³ أو التمثيل الفكري للأشياء المحسوسة أو المجردة.

- الحد: في مفهومه اللغوي "هو المنع أو الفصل بين شيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر..."⁴.

ويعرفه السكاكي بقوله: "الحدُّ عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه أو بلوازمه، أو بما يتركب منهما تعريفا جامعا مانعا، ونعني بالجامع كونه متناولا لجميع أفرادهِ إن كانت له أفراد، وبالمانع كونه أيبا دخول غيره فيه ... وكثيرا ما نغير العبارة فنقول هو وصف الشيء وصفا مساويا، ونعني بالمساواة: أن ليس فيه زيادة تخرج فردا من أفراد الموصوف، ولا نقصان يدخل فيه غيره"⁵

والحد جنس لنوعين من الأقوال: القول المطابق لذات المحدود أو المتضمن لها، والقول المفيد للمحدود على وجه البيان والتمييز. وهذا ما يسوغ لنا - على حدّ قول

¹ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ج:1، ص:25.

² نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ج. ساجر. ترجمة: جواد حسني سماعنة، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع:47، 1999، ص:188.

³ المرجع نفسه، ص:189.

⁴ لسان العرب، ابن منظور. مادة: (حد).

⁵ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي. تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1403هـ/1983م، ص:436.

التهالي- "أن نسائل النحاة أيًا من النوعين يحيط سرادقه بتعريفاتهم لعناصر النحو؟ مع علمنا أن هذه العناصر ليست أشياء وجودية تدرك بالحس، أي أنها ليست كائنات طبيعية تحمل استقلالها في جواهرها المنسجمة، ولكنها أسماء اتفاقية تولدها اللغة النحوية، ثم توصلها بمعنى اصطلاحى يدركه العقل مقترنا بالمجال الدلالي النحوي"¹.

والحدود في النحو غايتها الدلالة على ذاتها لا على علة وجودها، يقول ابن يعيش في معرض كلامه عن الحروف: "وقولهم ما دل على معنى في غيره أمثل من قول من يقول ما جاء لمعنى في غيره، لأن في قولهم: ما جاء لمعنى في غيره إشارة إلى العلة، والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لأجلها إذ علة الشيء غيره"²، إلا أن التركيز على ذات الحد لا ينبغي أن يكون على حساب الرسم، وهذا ما نلمسه عند التهالي في معرض كلامه عن شروط الحد حيث يقول: "يحصل الجمع والمنع من إحدى الجهتين: جهة الذات وجهة العارض، فباختبار الذات تكون الإحاطة بأفراد المعدود أولى باسم الحد، وباختبار العارض يكون الرسم بها أليق"³.

ومن هذا المنطلق يجعل مفهوم الحد النحوي متضمنا في طريقتين في الإعلام بحقيقة الشيء: طريقة التعريف بالذات، وطريقة التعريف بالخارج، وقد يحدث الاقتصار على إحداها أو الجمع بينهما في آن تبعا لمقاصد النحاة وأغراضهم النظرية التي لا تجاوز تمييز المقولات النحوية تمهيدا لتصنيفها⁴، وما يلاحظ من هذا المفهوم أن التهالي لا يضع حدا فاصلا بين الحد والتعريف، وربما كان ذلك قصدا منه لأنه يعد "استعمال لفظ الحد في مجال النحو من باب المجاز"⁵.

¹ تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي: أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي. دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 2007م، ص:88.

² شرح المفصل، ابن يعيش (يعيش بن علي). عالم الكتب، (دظ)، لبنان، (دت)، ج:1، ص:18.

³ تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي. ص:88.

⁴ المرجع نفسه، ص:89.

⁵ المرجع نفسه، ص:89.

* تأثر الرماني في حدوده بالمنطق إلى حد بعيد، حتى قال فيه أبو حيان التوحيدي: "وكان يمزج النحو بالمنطق؛ حتى قال الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس

ولما كانت للحدود في النحو أهمية بالغة اشتهرت بها كتب عديدة أذكر منها:
 حدود النحو لأبي العباس ثعلب (ت291هـ) وحد الفاعل لابن كيسان (ت299هـ) وحد
 الإعراب للأبي عبد الله محمد المفجع البصري (ت312هـ) والحدود الأكبر والأصغر
 لعلي بن عيسى الرماني* (ت384هـ) والحدود في النحو للأبذي (ت680هـ) وحدود
 النحو للفاكهي (ت982هـ)...، كما توجد رسائل حديثة في هذا المجال أهمها: الحدود
 النحوية وتراثها في العربية لإسلام العمري.

- **التعريف:** هو ما نلجأ إليه لتوضيح معاني المصطلحات وتيسير فهمها ويعرفه
 الجرجاني بقوله: "التعريف: عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته شيء آخر"¹ ويجعله
 نوعان " التعريف اللفظي هو أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى، فيفسر بلفظ
 أوضح دلالة على ذلك المعنى كقولك الغضنفر الأسد، وليس هذا تعريفا حقيقيا يراد به
 إفادة تصور غير حاصل، وإنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر
 المعاني"² فالتعريف إذن هو قول شارح للمصطلح ووصف للمفهوم، إذ العلاقة بينهما
 علاقة عموم وخصوص، حيث التعريف أعم من المفهوم "وبالتالي لا يتأتى لك تعريف
 ما لم تصف مفهوما، فوجود المفهوم يستوجب بالضرورة وجود تعريف"³.

ويتم التعريف بإحدى وسيلتين: إما بتخصيص الدلالة للمفهوم أي تقديم المفهوم من
 خلال مجموعة المواصفات الخاصة به، أو بذكر عناصر المفهوم وفروعه التي يتكون
 منها.⁴

معه منه شيء" ينظر: بغية الوعاة، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان). تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر،
 ط:1، لبنان، 2005، ص:630.

¹ التعريفات، الجرجاني. ص:62.

² المرجع نفسه، ص:62.

³ مصطلحات علم أصول النحو من خلال كتاب الخصائص لابن جني، سليم عواريب. رسالة ماجستير، جامعة
 قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، 2008، ص:26.

⁴ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ص:38.

والتعريف في علم النحو - كغيره من العلوم - يعود إلى أصله المنطقي، ذلك "أن التعريف باب من أبواب المنطق أُعير للنحو على وجه الإنابة والتمثيل، وأن الأصول المنطقية للتعريف النحوي تظل حاضرة، حتى ولو أمعن النحاة في صيغ حدودهم بميسم النحو وهيئته"¹.

وقد صنّف التعريف في عرف الفلاسفة واللغويين العرب إلى صنفين: اعتمدوا في الأول على الحد، وفي الثاني على الرسم²، فقالوا التعريف بالحد "التعريف المنطقي" والتعريف بالرسم "التعريف اللغوي"، ويفسر هذا التقسيم ما أطلق عليه الجرجاني التعريف الحقيقي والتعريف اللفظي³.

أما في الدراسات اللغوية الحديثة نجد أن الرسم في علم الدلالة اللساني يوافق مجموعة من السمات الدلالية التي تعرّف الصنف المشار إليه باللفظ، وتتميّز التعريفات المعجمية بكونها غالباً ما تتوسل بالرسم في تحديد الألفاظ والمصطلحات، ويقابله الماصدق ويعرفه المناطقة بأنه: "مجموعة الأفراد أو الجزئيات التي يصدق عليها المفهوم أو اللفظ"⁴، والعلاقة بينهما عكسية، فكما كان رسم المفهوم أو عدد سماته كبيراً كان ما صدقه ضيقاً.

وإذا أسقطنا هذه التعريفات على تأليف الحدود النحوية وجدنا منها ما هو تأصيلي لا يعنى بالجانب التعليمي، بل غالباً ما ينتحي مسلكاً تجريدياً دأبه امتحان المقولات المنطقية التصويرية في خطاب لغوي يردّ الانجاز الكلامي إلى قوانينه... وأثناء ذلك يلوذ النحاة بألفاظ اصطلاحية شأنها أن توجه نظرهم إلى اللغة، وأن تستضمر مفاهيمهم الوظيفية التي يجرونها على الكلام. ومنها ما هو تعريفي يعنى بالحدود وفيه

¹ تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي. ص: 79.

² علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، حسن بشير صالح. دار الوفاء للطباعة، ط: 1، مصر، 2003م، ص: 258.

³ ينظر: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي. ص: 19.

⁴ مدخل إلى علم المنطق، مهدي فضل الله. دار الطليعة، ط: 1، لبنان، 1977، ص: 65.

توضع المصطلحات النحوية مرادفة لمفاهيمها المنطقية¹. والمتتبع للتعريف في التأليفات النحوية يجدها تجري على نحوين أساسيين هما:

1. **التعريف بالتمثيل**: ويشيع هذا النوع في كتاب سيبويه، حيث يعرف الاسم قائلاً: "فالاسم رجل و فرس وحائط"² مقتصرًا على التمثيل بذكر أمثلة محصورة لا تحيط بحقيقة الاسم في المجلد. وقد عقب على ذلك ابن فارس قائلاً: "وهذا عندنا تمثيل وما أراد سيبويه به التحديد"³، إلا أنه لا ينبغي أن نحكم على معرفة حدّ الاسم عند سيبويه ما لم نغم بجميع كل الوحدات اللغوية التي يطلق عليها مصطلح اسم، وتصنيفها، والنظر فيها، واستخلاص الأساس المنهجي الذي يقوم عليه تحديد المصطلح.

2. **التعريف بالعلامات والخواص**: يرد لغرض التقريب والتسهيل، لكنه لا ينشغل بطلب حقيقة المقولات النحوية، وإنما يشرف على رسومها تجسيدا لدلالة لفظ "العلامة"، فإن علامة الشيء تكون قبله، والخاصة كالسمة ضرب من العلامات⁴. ويعرفها توفيق قريرة بأنها علامات ومقولات نحوية يختص بها باب من أبواب الكلم لتكون أمانة عليه أو علامة لهذا أطلق عليها النحاة كذلك اسم العلامة بما أنها تدل على المختص بها وتميزه عن غيره فلها إذن وظيفة دلالية كالحَد، لكن العلامة تكون بالأمر اللازمة والحد بالذاتية، والفرق بين الذاتي واللازم أن الذاتي لا تفهم حقيقة الشيء من دونه ولو قدرنا انعدامه في الذهن بطلت حقيقة ذلك الشيء وليس اللازم كذلك⁵. إلا أن هذا النوع من التعريف يغفل عن الشكل المنطقي جملة فلا يكاد يظهر إلا عرضاً⁶، لأنه يقتصر

¹ ينظر: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي. ص: (79-81).

² الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو). تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط: 1، لبنان، (دت)، ج: 1، ص: 12.

³ الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس. تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط: 1، لبنان، 1418هـ/1998م، ص: 48.

⁴ الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري. تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، (دط)، مصر، 1998، ص: 71.

⁵ المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة. دار محمد علي للنشر، ط: 1، تونس، 2003، ص: 92.

⁶ تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي. ص: 101.

على الإشارة إلى المعرّف بجملة من العلامات تخصه، ومن ذلك تعريف الجرجاني للاسم بقوله: "قالاسم ما دخله التتوين نحو: زيد، والألف واللام نحو: الرجل، وحرف الجر نحو: بزيد، وجاز الإخبار عنه نحو: خرج زيد"¹، لكن إذا تتبعنا علامات الاسم في مصادر التراث النحوي نجدها لا تتحصر فيما ذكره الجرجاني، فمن علاماته أيضا: الجمع والتصغير والنسبة إليه والكناية عنه بالضمير، ومباشرته للفعل دون فاصل...

4. شروط صياغة المصطلح النحوي: المصطلح النحوي كغيره من المصطلحات العلمية له شروط لا بد من توفرها وأهمها ما يلي:

- اتفاق النحاة واللغويين عليه للدلالة على معنى نحوي معين.
- الاكتفاء بوضع مصطلح واحد للمفهوم الواحد ذي المضمون الواحد.
- اختلاف الدلالة النحوية - الجديدة - للمصطلح عن دلالاته اللغوية، مع ضرورة وجود علاقة وتناسب بين الدالتين.
- أن تكون الدلالة جامعة مانعة لا تحتل التوسع أو الحصر.
- أن يكون المصطلح مختصرا - قصد الاقتصاد اللغوي - حتى يسهل تداوله ويحسن توظيفه، وهو ما نجده في مصطلحات النحو العربي بعد استقرارها، فأغلبها يتكون من كلمة أو كلمتين فقط.
- أن يوافق طرائق صياغة الكلمات في اللغة العربية.
- أن يكون واضحا ودقيقا في أداء المعنى النحوي المراد "فمن أبرز شروط المصطلحات في العصر الحديث أن تكون واضحة دقيقة موجزة سهلة النطق، وأن يشكل المصطلح الواحد منها جزءا من نظام مجموعة من المصطلحات ترمز إلى مجموعة معينة مترابطة من المفاهيم"²

¹ الجمل في النحو، عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1990، ص:37.

² في المصطلح العربي: قراءة في شروطه وتوحيده، علي توفيق الحمد. مجلة التعريب، سوريا، ع:20، 2000، ص: (43-44).

5. طرائق صياغة المصطلح: ما من دارس للمصطلح في أي مجال إلا كان لزاما عليه التعرف على الطريقة المنهجية لوضع المصطلح العلمي، وأهم العناصر المتعارف عليها في هذا الشأن: الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، وهي أهم مظاهر اللغة العربية ودلائل مرونتها.

1. المجاز: هو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له أصلا، أي استعمالها لغير معناها الظاهري مع قرينة مانعة عن إرادة ذلك المعنى.¹ ويقول ابن جني في التفريق بين المجاز والحقيقة: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه"²، ويسهم المجاز في توليد المصطلحات باعتباره "الجسر الذي تنتقل عبره الكلمة من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر"³ كنقل كلمة الفصاحة من دلالتها على خلوص اللبن من رغوته إلى الدلالة على حسن الكلام وجودته.

2. الاشتقاق: وهو "تكوين لفظ عربي جديد من مادة عربية عرفت المعجمات وبوزن عربي عرفه النحاة وأثبتته النصوص"⁴، فالتأمل لألفاظ اللغة العربية يدرك أنها تشكل مجموعات تتحد في مادتها المعجمية ومعناها الأصلي بينما تختلف في المباني والمعاني الصرفية، وهذا بفضل الاشتقاق الذي يعطينا من المادة المعجمية الواحدة صيغا متعددة يشترط فيها الخضوع لأوزان العربية.

وللاشتقاق في العربية ثلاثة أنواع أكثرها استعمالا الاشتقاق الصغير (العام) وهو استخراج صيغ بأوزان مختلفة من كلمة واحدة مع الحفاظ على حروفها الأصلية وترتيبها، والنوع الثاني يقوم على مبدأ التقليل أي من خلال تقليل حروف مادة واحدة نحصل على عدة مفردات مختلفة الدلالة كالسكب والكسب والسبك... ويعرف بالاشتقاق الكبير، وثالثها الاشتقاق الأكبر الذي يقوم على استبدال حرف بآخر لعلاقة بينهما مع بقاء الحروف الأخرى.

¹ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي. ص: (359-360).

² الخصائص، ابن جني. ج: 2، ص: 442.

³ تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمان حسن العارف. ص: 301.

⁴ الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي. ص: 35.

3. **النحت:** وهو صورة أخرى من الصور التي استغلها القدماء في بناء ألفاظهم، لكن اللجوء إليها كان قليلاً.¹ وفيه يستخرج المصطلح من كلمتين أو أكثر كالبسمة والحيعة من (بسم الله الرحمان الرحيم) و(حيّ على). يقول الخليل:²

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيعة المنادي

ورغم ندرة استخدامه إلا أننا نجد يدخل أنواع الكلام العربي، فنجد النحت الفعلي، والنحت الوصفي، والنحت الاسمي، والنحت النسبي.³

بينما نعثر على رأي آخر يؤكد شيوع النحت في اللغة العربية إذ ينبري ابن فارس برأي فصل في هذه المسألة ليقرر أن كل ما زاد على ثلاثة أحرف في كلام العرب أكثره منحوت من كلمتين⁴ ويؤيده في ذلك - من المعاصرين - الدكتور عبد الجليل مرتاض.⁵

4. **التعريب:** تلتقي اللغات بالتقاء أصحابها سلماً أو حرباً فتؤثر وتتأثر، واللغة العربية شهدت ذلك من خلال الألفاظ الدخيلة والمعربة، والمقصود بالتعريب ما استعارته العرب من لغات غيرها وطوّعته بألسنتها فغيّرت فيه بالحذف أو الزيادة أو الإبدال في الأصوات بما يوافق قوانينها في التعبير والاستعمال، يقول الجوهري: "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها تقول: عربته العرب وأعربته أيضاً"⁶، وقد عني النحاة بالتعريب منذ القدم يقول سيبويه: "اعلم أنّهم (أي العرب) ممّا يُغيّرون من الحُرُوف الأعجميّة ما ليس من حُرُوفهم ألبته، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم،

¹ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ص: 126.

² لسان العرب، ابن منظور. مادة: (جعل). والعين، الخليل بن أحمد. ج: 1، ص: 20.

³ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ص: 127.

⁴ الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس. تحقيق: أحمد حسن بسج، ص: 210.

⁵ ينظر: التهيئة اللغوية للنحت في العربية، عبد الجليل مرتاض. دار هومة، (دط)، الجزائر، 2006، ص: (25-26).

⁶ الصحاح، الجوهري (إسماعيل بن حماد). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: 2، لبنان، 1399هـ/1979م، ج: 1، ص: 179.

وَرُبَّمَا لَمْ يُلْحِقُوهُ، فَأَمَّا مَا أَلْحَقُوهُ بِنِجَاءِ كَلَامِهِمْ، فَدَرِهَمٌ، أَلْحَقُوهُ بِنِجَاءِ هَجْرَعٍ، وَبَهْرَجٍ أَلْحَقُوهُ بِسَهْلَابٍ، وَدِينَارٍ أَلْحَقُوهُ بِدِيمَاسٍ.... فَأَبْدَلُوا مَكَانَ الْحَرْفِ الَّذِي هُوَ لِلْعَرَبِ عَرَبِيًّا غَيْرَهُ، وَرُبَّمَا تَرَكُوا الْاسْمَ عَلَى حَالِهِ إِذَا كَانَتْ حُرُوفُهُ مِنْ حُرُوفِهِمْ، وَكَانَ عَلَى بِنَائِهِمْ أَوْ لَمْ يَكُنْ، نَحْوُ: حُرَّاسَانَ (لَيْسَ عَلَى بِنَاءِ الْعَرَبِيَّةِ) وَحُرَّمِ (عَلَى بِنَاءِ الْعَرَبِيَّةِ). وَرُبَّمَا غَيَّرُوا الْحَرْفَ الَّذِي لَيْسَ مِنْ حُرُوفِهِمْ، وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَنْ بِنَائِهِ فِي الْفَارِسِيَّةِ، نَحْوَ فِرْنَدٍ، وَبَقَمٍ، وَآجُرٍّ، وَجُرْزُبِزٍ " فَهُوَ يَقْصِدُ بِالتَّعْرِيبِ إِحْدَاثَ تَغْيِيرٍ فِي اللَّفْظِ الْأَعْجَمِيِّ الْمُرَادُ نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الصَّوْتِ أَوِ الْبُنْيَةِ أَوْ كِلَيْهِمَا، حَيْثُ تَعْرِضُ لِلإِبْدَالِ وَالإِلْحَاقِ، كُلُّ ذَلِكَ تَحْتِ بَابِ (مَا أُعْرِبَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ).

أما المحدثون فيشير بعضهم إلى وجود تعريب جزئي يهدف إلى الجمع بين المعرب والعربي أصلا في تركيب واحدا لينتج مصطلحا جديدا.¹ ومن أمثله الشائعة: ميثا لغة- سوسيو لسانيات...

5. المصطلحات التراثية: إلى جانب الطرائق المذكورة آنفا لوضع المصطلح تجدر الإشارة إلى أهمية التراث وفضله في ظهور العديد من المصطلحات القديمة، حيث أكد دارسوا اللغة على مدى استفادتهم مما وصلهم من التراث في مؤلفاتهم الحديثة، بدافع المزوجة بين الأصالة والمعاصرة، وفي ذلك يصرح الطيب البكوش قائلا: "ولقد حرصنا على ربط الصلة بين الماضي والحاضر، والقديم والحديث إيماناً منا بأن لا حديث بلا قديم، ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ولا يتطور أو يتجدد مع الزمن، فانطلقنا من المفاهيم القديمة والمصطلحات القديمة ولم نغيّر منها إلا ما قد يوقع في الغموض والالتباس، أو ما بان خطؤه وعدم صلاحه اليوم"²

وعلى هذا الأساس فهو ينوّه بالجسر الرابط بين العلوم الحديثة وأصولها القديمة، كما هو الحال بالنسبة لتجدد مصطلحات فقه اللغة القديم وظهورها في ثوب علم اللغة

¹ ينظر: تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمان حسن العارف، ص: (313-314).

² التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش. الشركة التونسية لفنون الرسم، (دط)، تونس، 1973، ص: 22.

الحديث. ومن بين المصطلحات التي وظفها الطيب البكوش مصطلح الحرف بديلا عن مصطلح الصوت السائد في العصر الحديث إذ يقول: " فنطق حروف الحلق يصحبه انفتاح في الفم يسهل عملية انقباض الحلق، والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة، ومن هذه الصفة أخذت اسمها.¹

ولقد حظيت العديد من المصطلحات التراثية بهذه الأهمية مما يدل على استقرارها أو ضعف التغيير الطارئ على مفاهيمها، ففي النحو مثلا لا تزال مصطلحات سيبويه وحتى من قبله متجلية في كتب المحدثين.

وفي المقابل نجد من يعرض عن المصطلحات التراثية مستبدلا إياها بمصطلحات جديدة أشد منها تعقيدا وأكثر تشعبا، وذلك بدعوى عدم قدرة المصطلحات القديمة على الوفاء بالمفاهيم الحديثة نظرا "لأن إمكانيات التراث تظل محدودة على سعتها وأهميتها لأسباب منها أن علوم العصر التي تجابهنا بالآلاف المؤلفة بل بالملايين من المفاهيم والمصطلحات اللازمة لها، هي مفاهيم علمية جديدة يكاد عمر معظمها لا يعود لأكثر من مائة عام..."².

6. مشكلات المصطلح النحوي العربي: مما لا شك فيه أن قضية الخلاف النحوي التي أثبتتها أمهات الكتب العربية، والتي تطل المفاهيم النحوية المختلفة من مدرسة إلى أخرى، لا بد أن يكون لها انعكاس مباشر على مصطلحات هذا العلم، ومن ثم اتخذت كل مدرسة مذهبها النحوي معبرة عنه بمصطلحات تراها الأنسب لذلك، فنجد مثلا: المصطلح البصري، المصطلح الكوفي، مصطلحات سيبويه، ومصطلحات الخليل... وأمام هذا الانقسام المصطلحي شهد علم النحو العربي عدة مشاكل في ضبط المصطلحات التي يركز عليها، ولعل أهمها:

¹ المرجع نفسه، ص:90.

² اللغة وبناء الذات، أحمد شفيق الخطيب وآخرون. سلسلة كتاب الأمة، ط:1، قطر، ع:101، 1425هـ/2004م، ص:121.

1. عدم وضوح المفهوم: يبني المصطلح أساسا على مفهومه، فإذا كان المفهوم غامضا صعب انتقاء المصطلح المعبر عنه بدقة، فقد يضعه صاحبه لمفهوم معين يتعذر على القارئ إدراكه، ويعود ذلك إلى قصور العبارة عن تقديم المفهوم بشكل واضح. فإذا نظرنا مثلا إلى هذا القول لخلف الأحمر: "العربية على ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا الحرف هو الأداة التي ترفع وتنصب وتخفص الاسم وتجزم الفعل"¹ فقد أطلق العدد نكرة ولم يخصصه لشيء معين؛ ولكن القارئ من خلال السياق يدرك أنها ثلاثة أقسام للعربية وهي ذاتها أقسام الكلم التي ذكرها سيبويه في باب - ما الكلم من العربية - إذ يقول: "فالكلم اسم وفعل وحرف..."²، ثم إن العربية في زمنه كانت تطلق على أكثر من مفهوم؛ كما أنه لم يحدد مفهوم الاسم والفعل، وأتبع الحرف بوصف لم يوضح معالمه، ثم يعرف الحرف بأنه الأداة التي ترفع وتنصب وتخفص الاسم وتجزم الفعل³، وهذا التعريف لا يضبط مفهوم هذه اللفظة بدقة، فليست الحروف وحدها التي ترفع وتنصب وتجزم.

وليس هذا فحسب بل يتجلى موقفه أكثر في قوله: "باب الحروف التي تنصب كل شيء أتى بعدها وهي: رأيت وظننت وخذت وحسبت..."⁴ وهي مجموعة من الأفعال المتعدية وليست حروفا، مما يزيد الأمر تعقيدا وتعمية عن القارئ والمتعلم.

كما نلاحظ هذا الأمر أيضا في كتاب سيبويه عند معالجته لكان وأخواتها تحت باب "الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"⁵، فهو يشير إلى الاسم الذي يرتفع بعد دخول كان وأخواتها عليه باسم الفاعل، في حين نجده في موضع آخر يعبر عن اسم الفاعل بمصطلح الفاعل من ذلك قوله: "هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما فعلت فيه - ويقصد اسم الفاعل - ولم تقو أن

¹ مقدمة في النحو، خلف الأحمر. تحقيق: عز الدين التنوخي، وزارة الثقافة، (دط)، سوريا، 1961، ص: 35.

² الكتاب، سيبويه. ج: 1، ص: 12.

³ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ص: 84.

⁴ مقدمة في النحو، خلف الأحمر. ص: 36.

⁵ الكتاب، سيبويه. ج: 1، ص: 45.

تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنما شبهت بالفاعل بما عملت فيه"¹ وهنا يتضح تداخل كبير بين عدة مصطلحات وهي: اسم كان وأخواتها، الفاعل واسم الفاعل وكل منها مفهوم آخر مختلف، وفي هذه الحالة لا يدرك معنى المصطلح إلا من خلال سياقه "وهذا أمر ينافي ما يطلب من المصطلحات من تشكيل الأركان الأساسية للمعنى المستفاد من النص لا أن تفهم من خلال غيرها"².

2. عدم ذكر الحد أو التعريف: شهدت بدايات النحو العربي من حيث مصطلحاتها اضطراباً في الحدود والتعاريف، فأحياناً لا يقدم الحد أو التعريف أصلاً وأحياناً يقدم باختلاف بين النحاة، فإذا عدنا مثلاً إلى مقدمة خلف الأحمر في النحو لم نجد فيها مصطلحاً واحداً معرّفاً أو محدوداً³، بل يكتفي بالتمثيل لمصطلحاته باعتبارها واضحة في عصره ولم يأبه بالأجيال بعده.

وفي كتاب سيبويه نحوي العديد من المصطلحات التي لم يضع لها حداً ولا تعريفاً من ذلك ما جاء تحت باب الفاعل في قوله: "باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولا يتعدى فعله إلى مفعول آخر، وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر ذلك العمل، وما يجري من الصفات التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تجري مجرى الفعل المتعدي إلى مفعول مجراها..."⁴ فهو يحشد مصطلحات الفاعل واسم الفاعل والمفعول واسم المفعول والمصدر و الصفة دون أن يقدم لها أدنى تعريف.

أما الحديث عن اختلاف الحدود فلا يكاد يتفق نحويان على تعريف مصطلح واحد، ومن مظاهر هذا الخلاف على سبيل المثال لا الحصر ما أورده الرماني في حد

¹ المصدر نفسه، ج:4، ص:434.

² من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادة. ص:86.

³ المرجع نفسه، ص:87.

⁴ الكتاب، سيبويه. ج:1، ص:45.

المنصوب قائلًا: "كلمة عمل فيها عامل النصب"¹ بينما يقول ابن الحاجب: "المنصوبات: هي ما اشتمل على علم المفعولية"². وقد عقب على ذلك الأستاذ منصور الوليدي فعَدَّ حد الرماني للمنصوب قاصرا عن توضيح معنى الاسم المنصوب³. ذلك أن القارئ لا يصل إلى المعنى المراد ما لم يكن يدرك مفهوم العامل مسبقا، بينما انطلق ابن الحاجب من التقسيم النحوي للمنصوبات باعتبار المفاعيل الخمسة أصل المنصوبات وما سواها فهو محمول عليها.

ولما كانت المنصوبات تؤدي وظائف دلالية متنوعة اختلف النحاة في حدّها، وعزف آخرون عن ذلك. ولعل هذا السبب يكشف سر الاكتفاء بالمصطلحات وغياب حدودها في كثير من المؤلفات النحوية واللغوية في التراث العربي.

3. التعدد: اقترنت بعض المصطلحات النحوية بإشكالية التعدد سواء كان ذلك في دلالة اللفظ الواحد على أكثر من مفهوم، أو في تعدد الألفاظ الدالة على مفهوم واحد. وإذا عدنا إلى تراثنا النحوي للوقوف على مواطن التعدد والاختلاف، وجدنا منه ما ينتج عن اختلاف المدارس النحوية، وما يكون داخل المدرسة الواحدة - بين أعلامها - أو حتى عند العالم الواحد.

فأما ما نتج عن الخلاف بين المدارس النحوية خاصة بين البصرة والكوفة "فأغلب الظن أن منشأها-أي المصطلحات - كان بسبب اختلاف النظرة التي ينظرها كل منهما إلى المصطلح، أو اختلاف التوجيه النحوي الذي يتبناه علماء كل مدرسة"⁴، إذ نجد الكثير من المصطلحات الكوفية المغايرة للمصطلحات البصرية تحمل المفهوم

¹ الحدود، علي بن عيسى الرماني. تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، (دط)، عمان، 1984م. ص: 68.

² شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، ابن الحاجب. تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: 1، مكة، 1418هـ/1997م، ج: 2، ص: 387.

³ الخلاف النحوي للمنصوبات، منصور صالح محمد علي الوليدي. عالم الكتب الحديث، ط: 1، الأردن، 2006. ص: 87.

⁴ من قضايا المصطلح اللغوي العربي: نظرة في توحيد المصطلح واستخدام التقنيات الحديثة لتطويره، مصطفى ظاهر الحيادة. عالم الكتب الحديث، ط: 1، الأردن، 1424هـ/2003م، ص: 24.

إلا أن البدايات الأولى لعلم النحو يكتنفها الغموض، وأن الواضع الأول له يثار حوله جدل كبير، حتى لا تكاد تخلو كتب النحو من ذكر الخلافات حوله واستقصاء من الروايات ما يمت لذلك بصلة أو يمهده بدليل¹.

لكني سأقتصر على أبرز ما تجمع عليه هذه الروايات وهو أن أبا الأسود الدؤلي (69هـ) هو الواضع الأول لعلم النحو، أثناء مواجهته لفشو اللحن في اللغة. وإذا ثبتت هذه الحقيقة في تاريخ النحو العربي، فالسؤال يطرح نفسه حول المادة النحوية الأولى أو الاصطلاح النحوي عند أبي الأسود الدؤلي. فإذا كنا نشك في "أن العرب لم يعرفوا كل المصطلحات النحوية في المنتصف الثاني من القرن الأول الهجري، على أن أبا الأسود قد وضع قواعد في العربية ولم يسمها نحواً، وإن كانت هذه الكلمة - كلمة النحو - قد دارت في هذه الفترة فعلاً، فإننا لا نرتاب قط بأن العرب قد عرفوا هذا المصطلح النحوي منذ أوائل القرن الثاني الهجري على الأقل، وأضحوا يسمون هذه القواعد من فاعل ومفعول... نحو"²

لاشك أن الانطلاقة الأولى كانت "انطلاقة مادية تدل على واقع محسوس، تماشت معه مادة العربية وخاماتها، فالعربية أخذت من أفواه الأعراب مشافهة وكانت في غالبيتها تدور حول أوصافهم لمشاهداتهم في حياتهم وحياة حيواناتهم وصحرائهم..."³

ومن هذا الحقل اللغوي المادي اقتلع علماء العربية مصطلحات نحوهم، فإذا بهم يستمدون من رفع الخيمة اسم الرفع ومن انتصاب أسبابها اسم النصب، ومن البيان اسم الإعراب...⁴ فكانت هذه المشابهة جسر الانتقال من المعنى الأصلي المادي إلى

¹ ينظر: نشأة النحو، ص: (11-12-13). والنحو النحاة، خضر موسى، ص: 12. والمصطلح النحوي، عوض

حمد القوزي. ص: 25. والأصول: تمام حسان. ص: 31.

² الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، عبد الجليل مرتاض. دار هومة، (دط)، الجزائر، 2008، ص: 116.

³ مصطلح النحو العربي بين الأصل المادي والتطور الدلالي، محمد كشاش. ص: 75.

⁴ المرجع نفسه، ص: (75-76).

المعنى الاصطلاحي المجرد، وهو ما يتماشى وطبيعة العقل البشري في الانتقال من المحسوس إلى المجرد.

وعلى هذا الأساس كانت أشهر الاصطلاحات النحوية عند أبي الأسود الدؤلي علامات الإعراب من فتح وضم وكسر وغنة ويقصد بها التثوين " إذ كان يقول لكتابه: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن كسرت فاجعل نقطة تحت الحرف، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين"¹

كما تشير بعض الروايات إلى أنه تناول بعض الأبواب النحوية الأخرى منها باب التعجب، باب الفاعل و المفعول، باب إن وأخواتها...² إلا أنه لا يمكن أن نعتد بها كمصطلحات نحوية لأنه لم يقصد بها الاصطلاح وإنما عبّر بها عن الظاهرة النحوية بوصف لغوي حسي، إضافة إلى ما يعترضها من اضطرابات؛ ولكن كفاه شرفاً أنه أول من رسم إعراب القرآن الكريم، وقدمه لمن بعده فاتخذوه نقطة أساسية في البحث عن أسباب وعلل العلامات الإعرابية.

وبذلك استطاع أبو الأسود الدؤلي أن ينقل علمه إلى تلاميذه المباشرين* الذين حملوا الراية ليسلموها إلى الجيل الذي يليهم، إلا أن دور هؤلاء اقتصر على إرساء ما أسسه أبو الأسود الدؤلي، كما حاولوا تطوير بعض اصطلاحاته من معناها اللغوي إلى معناها العلمي.

وتمضي مسيرة النحو عبر هذا الجيل من دون تغيير يذكر إلا نادراً. إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/175هـ) وهو أستاذ من "أفاضل العلماء - الذين -

¹ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي. ديوان المطبوعات الجامعية، (دظ)، الجزائر، 1983. ص:32.

² المرجع نفسه، ص: (35-40)

كانت لهم قدم راسخة في علوم اللغة والنحو والأدب¹ وله من التصانيف: الإيقاع، الجمل، الشواهد، العروض، العين في اللغة، فائت العين، النغم، النقط والشكل، وغير ذلك. وعن جهوده في النحو وأصوله يقول الدكتور شوقي ضيف: "اعتمد الخليل في تأصيله لقواعد النحو وإقامة بنيانه على السماع والتعليل والقياس، والسماع عنده إنما يعني نبعين كبيرين نبع النقل عن القراء للذكر الحكيم وكان هو نفسه من قرائه وحملته، ونبع الأخذ عن أفواه العرب الخالص الذين يوثق بفصاحتهم"²، بينما نقل صاحب كتاب (النحو والنحاة) عن الدكتورة خديجة الحديثي قولها: "بلغ النحو على يدي الخليل مرحلة النضج والاستقرار في مصطلحاته ومسائله وقيل عنه أنه أعظم نحوي حملته الأرض، بل أعظم نحوي على مدى العصور، ومع أنه لم يؤلف في النحو كتابا يتناسب وعلمه فيه ولم يترك سوى كتابي (العوامل) و(الإمالة). فإن كتاب سيبويه يطفح بأرائه وأقواله في مسائل علوم اللغة العربية المتنوعة من صوت وصرف ونحو وما إليها حيث كونت آراؤه عمود كتاب سيبويه"³.

ولقد نقلت هذا النص على طوله لما فيه من الإشارة إلى الاضطراب والتشكيك في نسبة التصانيف السابقة للخليل، خاصة كتاب الجمل الذي لا يزال يثير جدلا كبيرا بين الباحثين والمحققين، فبعد أن أثبت محققه الدكتور فخر الدين قباوة نسبته إلى الخليل ضاربا عرض الحائط كل الادعاءات الطاعنة في ذلك بدليل أن قضية المصطلحات والأحكام التي استبعد غيره صلتها بالخليل سببه سقوط الكثير منها لإقحام خلفاء المؤلف ومن كان بعدهم ذلك. وما يثبت بعد فهو محل النظر والحوار⁴، يعود الدكتور عبد الجليل مرتاض إلى تنفيذ هذا الزعم من جديد ويعزو نسبة الجمل

* وهم على أشهر الروايات: نصر بن عاصم (89هـ)، ميمون الأقرن (ت بعد 100هـ)، عبد الرحمان بن هرمز (117هـ)، عنبسة الفيل (129هـ)، يحي بن يعمر (129هـ).

¹ النحو العربي: نشأته - تطوره - مدارسه - رجاله، صلاح روي. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دظ)، مصر، 2003، ص: 164.

² المدارس النحوية، شوقي ضيف. دار المعارف، ط: 5، مصر، (دت)، ص: 46.

³ النحو والنحاة: المدارس والخصائص، خضر موسى محمد حمود. ص: 18.

⁴ الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ط: 5، لبنان، 1416هـ/1995م، ص: 16.

إلى ابن شقير، فهو يرى أن ابن النديم مثلاً في تراجمه وطبقاته ما كان ليغفل عن كتاب الجمل للخليل - لو وجد - ويذكر جمل ابن السراج (316هـ) والزجاجي (337هـ) وغيرهما¹، ولو وجد ما كان الزبيدي ليقول عن الخليل: "إنه لم يؤلف في النحو حرفاً، ولم يرسم فيه رسماً، نزهة بنفسه، وترفعاً بقدره... واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه"² وراح يحشد لرأيه من الأدلة ما لا يتسع المقام لعرضه³، كما أنه تعرض لاختلافاته عن كتاب سيبويه حيث قال: "وليس قصدي هنا أن أوازن مصطلحات هذا الكتاب - الجمل - والمصطلحات السيبوية فهذا يتطلب سنوات ومجلدات، ولكني لما وازنت بعض الأبواب بينهما رأيت أنها لا تخلو من اختلافات في طريقة استقراء المادة النحوية وتعليقها ومصطلحاتها"⁴.

وسواء ثبت حق الإقرار أو الإنكار في نسبة كتاب الجمل للخليل فلا أحد ينكر باع الخليل في هذا الميدان، وخاصة ما تجسد له من عطاء في مادة الكتاب وهو ما أكده سيبويه في كتابه، فعامة الحكاية فيه عن الخليل وكما قال سيبويه (سألته) أو قال (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل بن أحمد.⁵

وأمام هذه المعطيات يكون كتاب سيبويه أول كتاب في نحو العربية، صنع فيه صاحبه "أعظم ما يصنع عالم لموضوعه"⁶ ذلك أنه استوعب علم أستاذه الخليل وورث وورث ملكته في القياس والابتكار وسار على طريقته في توثيق كلام العرب.

المصطلحات النحوية في الكتاب

¹ الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، عبد الجليل مرتاض. دار هومة، ط:1، الجزائر، 2008، ص: (236-237).

² نشأة النحو، محمد الطنطاوي. ص: 77.

³ الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، عبد الجليل مرتاض. ص: 238.

⁴ المرجع نفسه، ص: 183.

⁵ دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي. دار النهضة العربية، ط:2، بيروت، 1988، ص: 12.

⁶ سيبويه إمام النحاة، علي النجدي. ص: 186. نقلاً عن: النحو والنحاة، خضر موسى محمد حمود. ص: 258.

كان ولا يزال كتاب سيبويه «أعجوبة الدهر الخالدة» ذلك "أنه - منذ ألف - استفرغ عناية العلماء به والطواف حوله، فمن شارح له ومن شارح لشواهدة ومن منتقد له، واستخذوا حيناً وضع كتاب جديد بعده، ولهذا كان يقول المازني من أراد أن يصنف كتاباً واسعاً في النحو بعد سيبويه فليستح¹ حيث بذل فيه سيبويه جهداً لا يقدره إلا من تعرض بالنظرة الفاحصة لكتابه، وقدم فيه عرضاً وافياً عن النحو العربي بطريقة يتجلى فيها الأسلوب العلمي يحدوه الأمل للبلوغ به مرحلة الاستقرار و الثبات²؛ حتى جاء على نحو لم يمكن أحداً من النحاة من بعده أن يضيف إليه شيئاً ذا بال، وما زادوه لا يعدو أن يكون تبييناً لمقاصده وتعييناً لحدوده وضبطاً لبعض مصطلحاته وشرحاً لغوامضه، وتوثيقاً لشواهدة.³ لأن صاحبه أدركه الأجل قبل أن يتم إعداد كتابه ويعيد تنقيحه، بل قبل أن يسمّيه يقول شوقي ضيف: «فنحن نفاجأ في أول سطر فيه بهذا العنوان: "هذا باب علم ما الكلم من العربية" وفيه تحدث عن أقسام الكلمة وأنها اسم وفعل وحرف. ونمضي معه إلى نهاية الكتاب، فنجد الحديث ينقطع عند بيان حذف بعض العرب لحروف في بعض الأبنية تخفيفاً عن اللسان، ومثّل لذلك فيما مثل بقول بعضهم (علماء بنو فلان) بحذف اللام في (على) أي على الماء بنو فلان»⁴، وفي هذا القول تأكيد على خلو الكتاب من العنوان ومن المقدمة والخاتمة، وقد يعود هذا إلى طريقة عصر سيبويه في التأليف... لكن الثابت الذي لا مرأى فيه أن سيبويه اختطفته يد المنون على غرّة وترك كتابه القيم الذي ملأ الدنيا وشغل النحاة قديماً وحديثاً.⁵

¹ نشأة النحو، محمد الطنطاوي. ص: 61.

² المصطلح النحوي في أصول ابن السراج، مسعود غريب. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، 2008، ص: 56.

³ النحو العربي أعلام ونصوص، محمود أحمد نحلة. دارالمعرفة الجامعية، (دط)، مصر، 2003، ص: 18.

⁴ المدارس النحوية، شوقي ضيف. دار المعارف، ط: 5، مصر، (دت)، ص: 60.

⁵ المدارس النحوية، التواتي بن التواتي. دار الوعي للنشر والتوزيع، ط: 1، الجزائر، 2008، ص: 59.

ولعل هذا السبب هو الذي يفسر بعض ما ورد في الكتاب من استطراد أو تكرار أو تداخل بين الأبواب "فهو يقدم لك المادة النحوية المرفوع إلى جانب المنصوب والمجرور...¹" دون أن يستوفي كل باب أحكامه على حده.

وما ذكرناه من اضطراب وتداخل - قد يؤدي إلى الغموض - لا يقتصر على أبواب الكتاب فحسب، بل يكتنف ذلك أيضا ما تضمّنه الكتاب من عناوين ومصطلحات نحوية، رغم أن سيبويه حاول أن يجعل مصطلحات كتابه واضحة سهلة المنال، وأردفها في كثير من المواضع بالوصف والتصوير، وبذلك كان عرضه للمصطلحات على شكلين:

1. الوصف: قدّم سيبويه في كتابه مصطلحات عديدة بأسلوب الوصف والتمثيل، ومن المرجح أن هذا يرجع إلى عدم وضوح المصطلح المعبر به وضوحا كليا يُطمأن إليه². وفي هذا إشارة إلى عدم استقرار المصطلحات وثبوتها حينذاك. ومن بين ما ورد في الكتاب من مصطلحات على هذه الطريقة نذكر:

المصطلح النحوي	طريقة وصفه عند سيبويه
1- اسم الآلة	- وصفه ومثل له في قوله: "هذا باب ما عالجت به... وكل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه هاء التانيث أو لم تكن، وذلك كقولك محلب ومنجل ومكسحة، مقراض، مفتاح... ³ " مفتاح... ³
2- المركب المزجي	- وصفه بضم شيء إلى آخر حيث قال: "باب الإضافة إلى الاسمين اللذين ضمّ أحدهما إلى الآخر فجعلا اسما واحدا" ⁴

¹ المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي. ص: 125.

² تطور الدرس النحوي، حسن عون. ص: 45. نقلا عن: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، أحمد حسن نوزاد. ص: 67.

³ الكتاب، سيبويه. ج: 4، ص: 94.

⁴ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 374.

3- الاشتغال	- وصفه بقوله: "هذا ما يكون فيه الاسم مبنيًا على الفعل قدّم أو آخر، وما يكون فيه الفعل مبنيًا على الاسم" ¹
4- التعجب	- وصفه بقوله: "هذا باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكّن تمكنه" ²
5- التنازع	- وقدّم له بعنوان وصفي طويل قال فيه: "هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك" ³

2. **تعدد المصطلح للمفهوم الواحد:** كثيرا ما يلجأ سيبويه في كتابه إلى التعبير عن الفكرة بأكثر من مصطلح، فهو لا يكاد يستقر على مصطلح واحد، فيعمد إلى اللغة ويختار من ألفاظها للتعبير عن ذلك، ورغم أن هذا الأسلوب يتنافى وخصائص المصطلح العلمي، إلا أنه يسلم به لمن له معرفة عميقة بأسرار اللغة وأساليب العرب، بدليل أن أغلب المصطلحات الماثلة في كتاب سيبويه لا تزال تستعمل حتى يومنا هذا، ثم إنه ألفه في زمن لم تتضح فيه المصطلحات بعد ولم تستقر. وفيما يلي نقف على بعض المصطلحات التي احتذى فيها هذا الأسلوب ومنها:

المصطلح النحوي	المصطلحات المقابلة عند سيبويه
1- الهمزة	1- الألف ⁴
2- تاء التانيث	2- الهاء ⁵
3- ياء المتكلم، حروف القسم، ياء النسب، حروف الجر	3- حروف الإضافة ⁶

¹ المصدر نفسه، ج:1، ص:80.

² المصدر نفسه، ج:1، ص:72.

³ المصدر نفسه، ج:1، ص:73.

⁴ الكتاب، سيبويه. ج:3، ص:(544، 546).

⁵ المصدر نفسه، ج:3، ص:385.

⁶ المصدر نفسه، ج:1، ص:(39-42)، ج:2، ص:(383-209)، ج:3، ص:(381-497-498).

4- لام التوكيد ¹	4- اللام الفارقة
5- الحدث والحدثان، ويسميه أيضا فعلا ومصدرا وتوكيدا ²	5- المفعول المطلق
6- الشركة وسمى حروفه حروف الإشارك ³	6- عطف النسق
7- النعت، البدل، التوكيد، العطف، الصفة ⁴	7- عطف البيان
8- الغاية ⁵	8- الظرف
9- تخصيص، صفة، بدل، تكرير ⁶	9- التوكيد
10- خبر، صفة، مفعول فيه، فعل واقع فيه ⁷	10- الحال
11- الحشو والوصف ⁸	11- صلة الموصول

ورغم انتهاء سيبويه مسلكي الوصف والتعدد في التعبير عن مصطلحاته، واضطرابه في تصنيف أبواب كتابه، إلا أن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب شيئا، فلابد "أن تمّ منها منطقيا جرى عليه صاحب الكتاب في تصنيف الأبواب وترتيبها، فبلغ البحث حاجته وأدرك هدفه"⁹، إذ السمة الغالبة في كتابه الالتزام المنهجي، وحسبه من القلادة ما أحاط بالعنق، أي أن يضع سيبويه النحو وقضاياها في جانب من جوانب كتابه، ويضع الصرف وقضاياها في جانب آخر، ويضع الصوت وقضاياها في جانب ثالث¹⁰، ويقدم مصطلحاته ويتناولها بالوصف والتصوير والتمثيل بالنظير والتفسير

¹ المصدر نفسه، ج:4، ص:233.

² المصدر نفسه، ج:1، ص:(34-230-320-377-380).

³ المصدر نفسه، ج:2، ص:378.

⁴ المصدر نفسه، ج:1، ص:423.

⁵ المصدر نفسه، ج:1، ص:417، ج:3، ص:286.

⁶ المصدر نفسه، ج:1، ص:(245-246-277)، ج:2، ص:(190-206-385).

⁷ المصدر نفسه، ج:1، ص:(49-50)، ج:2، ص:(81-87-122)، ج:3، ص:107.

⁸ المصدر نفسه، ج:1، ص:(269-270).

⁹ منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، محمد كاظم البكاء. ص:450. نقلا عن: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص:36.

¹⁰ ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، أحمد حسن نوزاد. ص:37.

بالنقيض. ولولا فضله في ذلك ما عاش النحاة من بعده عالية على كتابه، وهو ما يكشف لنا حقيقة استقرار العديد من المصطلحات على يديه.

المدارس النحوية وقضية المصطلح

1. المصطلح النحوي بين البصرة والكوفة:

لقد كان سيبويه بحق الأصل الثابت في كل الفروع النحوية التي انبثقت من بعده، ممثلة في المدارس النحوية وعلى رأسها مدرسة البصرة، ذلك "لأن كتابه الذي أعجز من قبله، وعزَّ عن من بعده كان قبلة النحو ومصدره، فمن معينه شرب النحاة على اختلاف العصور، وامتداد الأزمنة، ومن أقيسته وقضاياه تفرع النحو وتعددت مسائله، وضافت عن الحصر توجيهاته"¹. دون أن نهمل دور تلك الجهود الأولى*

¹ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم. المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1، مصر، 2006، ص:88.

التي كانت بذورا طيبة نمت وترعرعت لكنها لم تتضج ثمارها ولم تؤت أكلها إلا على يد سيبويه.

ولقد كان للبصرة فضل سبق في الأخذ عن سيبويه وانتهاج سبيله في الدراسات النحوية، وساعدها على ذلك استقرار العامل السياسي، في حين كان أهل الكوفة في انشغال بالميادين العسكرية و السياسية من جهة، والقراءات القرآنية والفقه والحديث من جهة أخرى، حيث كانت الكوفة مهجر الكثير من الصحابة، ومدرسة لأكبر القراء¹.

لذلك (لم يكن علم النحو وليد البيئة الكوفية، فقد سبقتها البصرة إليه، والكوفيون إنما أخذوه عن البصرة بعد أن نشأ ونما فيها وتأثر ببيئتها)². ومع انتقال النحو إلى الكوفة شهد التاريخ نقطة تحول حاسمة، نتج عنها ظهور خلافات منهجية وانقسامات مصطلحية - في شأن النحو- بين أهل المصريين؛ وعكف المؤلفون على رصد هذه القضايا والمسائل الخلافية بين الفريقين، حتى بلغت أوجها في عهد ابن كيسان³ (ت320هـ) الذي وصفه ابن الأنباري بأنه (كان قيماً بمعرفة مذهب البصريين والكوفيين) من خلال كتابه "ما اختلف فيه البصريون والكوفيون"، بيد أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وإنما أشهر ما بلغنا في هذا الشأن كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" لابن الأنباري (ت577هـ)، وتلاه أبو البقاء العكبري (ت616هـ) بكتابه "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين"، ويمثل هذان الكتابان أشهر ما روي عن مسائل الخلاف⁴.

* المحاولات النحوية الأولى من أبي الأسود الدولي وتلامذته حتى الخليل.

¹ المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، عمر حدوارة. دار الإتقان، (دط)، الجزائر، (دت)، ص:26.

² مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي. دار الرائد العربي، ط:3، لبنان، 1406هـ/1986م، ص:368.

³ المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي. ص:155.

⁴ المرجع نفسه، ص:156.

ولقد كان لاختلاف مناهج الدراسة أثر بالغ في اختلاف المصطلحات، وذلك (أن الكوفيين كانوا يقصدون قصدا إلى أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها... فحاولوا جاهدين أن يميّزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين)، إلا أن الغلبة والاستعمال كان بارزا للمصطلح البصري على حساب المصطلح الكوفي. وذلك نظرا لسيادة الدرس النحوي البصري على الدرس الكوفي، ثم إن أغلب النحاة كانوا ينتصرون للمذهب البصري، حتى كتب الخلاف التي يفترض أن تكون منصفة، نجد الميل واضحا فيها للبصريين ككتاب الإنصاف لابن الأنباري*¹.

ومع ذلك ظل المصطلح النحوي الكوفي ثابتا في كتب الاحتجاج (ولعل اشتهار الكوفيين بالقراءات دون غيرهم كان دافعا لرواج المصطلح الكوفي وتوظيفه على يد أصحاب كتب الاحتجاج)²، وهنا يكون الخلاف أشد وضوحا بين من يؤمن بما أضاف الكوفيون في النحو العربي³، وبين من يرى أن مصطلحات الكوفيين وما أتوا به ليس شيئا جديدا يجهله البصريون⁴، حتى أننا نجد بين النحاة المحدثين ما هو أشد شيها بمناظرات أصحاب الطبقات الأولى من كلتا المدرستين*

صور الخلاف في المصطلحات النحوية بين البصرة والكوفة:

* أبو البركات بن الأنباري (ت577هـ) نحوي على المذهب البصري ذكر أنه لم يؤيد الكوفيين إلا في سبع مسائل.

¹ المصطلح النحوي الكوفي، عمر حدوارة. ص: 28.

² المرجع نفسه، ص: 29.

³ ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي. ص: (316-327).

⁴ ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي. ص: (107-135).

* عندما ألقى الدكتور إبراهيم السامرائي مقالا له بعنوان "أنا مدارس نحوية؟" ذكر فيه: «أن ما يدعى بالنحو الكوفي شيء مفتر إلى المصطلح الفني، وأن المصطلح عندهم قد يطلقونه على أشياء عدة يختلف بعضها عن بعض، فوجئ بتهجم صاحب كتاب "مدرسة الكوفة" عليه، ونقل لنا بعض ما آلمه قائلا: "بسطت هذه الفوائد في بحثي، وما كنت أتوقع أن سينبري الصديق المخزومي مغاضبا شديدا متهجما غامزا لامزا يظن أن لن نقدر عليه، فكتب مقالة وكأنه غمس قلمه في الخل... وصف فيها بحثي بـ"المحاولة البائسة" وأنه "بحث ملهوج" وأنه أحكام مبتسرة فجّة»، بل وأكثر من ذلك فقد نعت صاحب المقال - إبراهيم السامرائي - بأنه بعيد عن الدرس النحوي قديمه وحديثه. ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي. ص: 160.

أثمرت الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة ثلاث مظاهر وصور للمصطلح النحوي متمثلة فيما يلي:

1. مصطلحات كوفية مقابل المصطلح البصري: أرادت مدرسة الكوفة أن تعلن استقلالها بمدرسة خاصة وتميزها منها ومصطلحا، فلجأت إلى المصطلح البصري وحاولت إيجاد مقابل كوفي له، وفيما يلي سأحاول رصد أهم هذه المصطلحات وما يقابلها لدى البصريين، مقتصرة على إيراد شواهد كوفية ظهرت فيها هذه المصطلحات، خاصة من معاني القرآن للفراء، فلا أتجاوزه إلى غيره إلا إذا خلا كتابه من ذلك، لهذا ستكون الشواهد مستقاة من القرآن الكريم كما يلي:

المصطلح	الشاهد		المصطلح الكوفي	الرقم
	البصري	تعقيب الفراء عليها		

<p>الاسم الجامد</p>	<p>" كان مزاحها كالكافور لطيب ريحه... وهو أبين في المعنى: أن تجعل الفعل في المزاج، وإن كان معرفة، وكل صواب، تقول كان سيدهم أبوك، وكان سيدهم أباك، والوجه أن تقول: كان سيدهم أبوك، لأن الأب اسم ثابت والسيد صفة من الصفات"¹</p>	<p>چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ الآية: 05، سورة: الإنسان</p>	<p>الاسم الثابت</p>	<p>01</p>
<p>الضمير المستتر</p>	<p>"القرأء على إجراء (سبأ) لأنه فيما ذكروا رجل وكذلك فأجره إن كان اسما لجبل، ولم يجره أبو عمرو بن العلاء... وقد ذهب مذهباً إذ لم يدر ما هو؛ لأن العرب إذا سمّت بالاسم المجهول تركوا إجراؤه"²</p>	<p>چ □ الآية: 22، سورة: النمل</p>	<p>الاسم المجهول</p>	<p>02</p>
<p>اسم الجنس</p>	<p>"ومن أراد المصدر فتح العين مثل: المضرب والمضرب... فإذا كان يفعل مفتوح العين أثرت العرب فتحها في مفعل اسما كان أو مصدرا... وقالت العرب: موهب فجعلوه اسما موضوعا على غير بناء، وموكل اسما موضوعا"³</p>	<p>چؤؤ ي ي ي ي پ پ □ □ □ □ □ □ الآية: 59، سورة: الكهف</p>	<p>الاسم الموضوع</p>	<p>03</p>

¹ معاني القرآن، الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد). تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب،

ط: 2، بيروت، 1980، ج: 3، ص: 215.

² المصدر نفسه، ج: 2، ص: 289.

³ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 153.

04	التبيين	چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ الآية: 12، سورة: الأنعام	قال الفراء وغيره: يجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: الرحمة ويكون ما بعده مستأنفا على جهة التبيين، فيكون معنى ليجمعنكم ليمهالنكم وليؤخرن جمعكم. ¹	البدل
05	الترجمة	چ ن ط ن ط ن ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه ه چ الآية: 10 و 11، سورة: الصف	وفى قراءة عبدالله: آمنوا، فلو قيل فى قراءتنا: أن تؤمنوا؛ لأنه ترجمة للتجارة. وإذا فسرت الاسم الماضى بفعل جاز فيه أن وطرحها؛ تقول للرجل: هل لك فى خير تقوم بنا إلى المسجد فنصلى، وإن قلت: أن تقوم إلى المسجد كان صوابا. ²	البدل
06	التشديد	چ و و و و و و و و الآية: 10، سورة: الواقعة	"فإن شئت رفعت السابقين بالسابقين الثانية وهم المهاجرون... وإن شئت جعلت الثانية تشديدا للأولى" ³	التوكيد
07	التشديد	چ ي ي چ الآية: 18، سورة: الحديد	"قرأها عاصم (إن المصدقين والمصدقات) بالتخفيف للصاد، وقرأها آخرون: (إن المصدقين والمصدقات) يريدون المتصدقين بالتشديد" ⁴	الإدغام

¹ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري). دار الفكر، (دط)، لبنان، (دت)، ج: 1، ص: 306.

² معاني القرآن، الفراء. ج: 3، ص: 154.

³ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 122.

⁴ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 135.

08	التفسير	چ ج ج ج ج ج چ ج ج ج ج ج چ الآیة: 19، سورة: البقرة	"فنصب (حَدَرَ) على غير من وقوع من الفعل عليه... فنصبه على التفسير ليس بالفعل" ¹	المفعول لأجله
09	التفسير	چ و و ي ي پ پ □ □ □ □ □ □ چ □ □ □ الآیة: 04، سورة: يوسف	"... فإذا أضفت العشرين دخلت في الأسماء وبطل عنها التفسير" ²	التمييز
10	التفسير	چكؤؤؤؤ و و و ؤ چ الآیة: 25، سورة: الكهف	"ومن العرب من يضع السنين في موضع سنة فهي حينئذ في موضع خفض لمن أضاف. ومن نون على هذا المعنى يريد الإضافة نصب السنين بالتفسير للعدد" ³	البدل
11	التكرير	چ د ت ت د چ الآیة: 29، سورة: المدثر	"وقوله مردود على سقر بنية التكرير" ⁴	البدل
12	التوحيد	چ ك ك ك ك گ گ چ الآیة: 32، سورة: المرسلات	"وقوله -عز وجل- كالقصر يريد القصر من قصور مياه العرب، وتوحيده وجمعه عربيان" ⁵	الإفراد

¹ معاني القرآن، الفراء . ج:1، ص:17.

² المصدر نفسه، ج:2، ص:34.

³ المصدر نفسه، ج:2، ص:138.

⁴ المصدر نفسه، ج:3، ص:203.

⁵ المصدر نفسه، ج:3، ص:224.

13	الجدد	چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ الآية: 20، سورة: الحشر	"وفي قراءة عبد الله: ولا أصحاب النار، ولا صلة إذا كان في أول الكلام جدد ، ووصل بلا من آخره" ¹	النفى
14	الجري	چة ه ه ه ه ه ه ه الآية: 25، سورة: التوبة	"وحنين وادٍ بين مكة والطائف، وجرى (حنين) لأنه اسم لمذكر، وإذا سميت ماء أو واديا أو جبلا باسم مذكر لا علة فيه أجريته" ²	الصرف
15	الصفة	چ □ الآية: 48، سورة: البقرة	"فإنه قد يعود على اليوم والليلة ذكرهما مرة بها وحدها ومرة بالصفة فيجوز ذلك كقولك: لا تجزي نفس عن نفس شيئا وتضمير الصفة ثم تظهرها فتقول: لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا" ³	حروف الجر
16	الصلة	چؤ و و و و و ي چ الآية: 11، سورة: ص	يقول: مغلوب عن أن يصعد إلى السماء. و(مَا) هَا هُنَا صلة . والعرب تجعل (ما) صلة في المواضع التي دخولها وخروجها فيها سواء، فهدًا من ذلك. ⁴	الزيادة

¹ معاني القرآن، الفراء . ج:3، ص:147.

² المصدر نفسه، ج:1، ص:429.

³ المصدر نفسه، ج:1، ص:(31-32).

⁴ المصدر نفسه، ج:2، ص:399.

17	عائد الذكر	چوؤو و و و و و و و چ الآية: 05، سورة: النحل	الاشتغال
18	العماد	چك ك و الآية: 06، سورة: سبأ	ضمير الفصل
19	الفعل	چف ف ف ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج الآية: 15، سورة: نوح	الحال
20	الفعل	چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ف ف چ الآية: 19، سورة: ص	الخبر
21	الفعل	چگ گ گ گ گ گ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ہ الآية: 15، سورة: الحديد	الفعل

¹ معاني القرآن، الفراء . ج:2، ص:95.

² المصدر نفسه، ج:2، ص:352.

³ المصدر نفسه، ج:3، ص:188.

⁴ المصدر نفسه، ج:2، ص:401.

⁵ معاني القرآن، الفراء . ج:3، ص:134.

22	الفاعل	چھ ے ے ے ے ے ے ے ے ے ے و چو {بالغ أمره} الآية: 03، سورة: الطلاق	"...وللإضافة معنى مضى من الفعل. فإذا رأيت الفعل قد مضى في المعنى فأثر الإضافة فيه. تقول أخوك أخذ حقه، فنقول ها هنا أخوك أخذ حقه" ¹	اسم الفاعل
23	الفاعل	چ ف ف ف ف ف ف ف ف ف (الآيتان: 22-23) (سورة: الواقعة	"وفي قراءة أبي بن كعب: وحورا عينا أراد الفعل الذي تجده في مثل هذا من الكلام... وقوله-عز وجل- {إلا قبلا سلا ما سلا ما} إن شئت جعلت اللام تابعا للقييل: وهو هو.." ²	الصفة المشبهة
24	الفاعل الدائم	چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ چ چ چ چ چ چ چچ چ الآية: 246، سورة: البقرة	وقال الكسائي في إدخالهم (أن) في (مالك): هو بمنزلة قوله: "مالك في ألا تقاتلوا" ولو كان ذلك على ما قال لجاز في الكلام أن تقول: مالك أن قمت، ومالك أنك قائم؛... فلذلك جاءت في (مالك) في المستقبل ولم تأت في دائم ولا ماض. ³	اسم الفاعل واسم المفعول
25	الفاعل الواقع	چ ت ت ت ت ت ت ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ گ گ گ گ گ گ گ چ الآية: 39، سورة: الكهف	"وإن شئت رفعت بإضمار (هو) تريد: هو ما شاء الله، وإن شئت أضمرت ما شاء الله كان فطرحت (كان) وكان موضع (ما) نصبا بشاء لأن الفعل واقع عليه..." ⁴	الفاعل المتعدي

¹ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 163.

² المصدر نفسه، ج: 3، ص: 124.

³ المصدر نفسه، ج: 1، ص: 165.

⁴ معاني القرآن، الفراء . ج: 2، ص: 145.

26	القطع	چاً پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ چ الآيتان: (1-2)، سورة: البقرة	"إن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء التي في (فيه) كأنك قلت لا شك فيه هاديا" ¹	الحال
27	الكناية	چ پ پ پ پ الآية: 03، سورة: الشمس	"جلى الظلمة، فجاز الكناية عن الظلمة ولم تذكر لأن معناها معروف" ²	الضمير
28	لا التبرئة	چاً ب ب پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ ن ن ن ن الآية: 256، سورة: البقرة	قال: فالفراء على نصب ذلك كله بالتبرئة إلا مجاهدا فإنه رفع الرفث والفسوق ونصب الجدال، وكل ذلك جائز. ³	لا النافية للجنس
29	لام جواب اليمين	چ ت ت ت ت ت ت ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ الآية: 13، سورة: إبراهيم	قال الفراء: "فجعل فيها لاما كجواب اليمين وهي في معنى شرط مثله من الكلام أن تقول: والله لأضربنك أو نُقِرَّ لي" ⁴	لام جواب القسم
30	ما لم يسم فاعله	چ ع ع ك ك ك كؤ و و و و و چ الآية: 19، سورة: الزخرف	"نصب الألف من (أشهدوا) عاصم والأعمش ورفعها أهل الحجاز على تأويل أشهدوا خلقهم لأنه لم يسم فاعله" ⁵	المبني للمجهول

¹ المصدر نفسه، ج: 1، ص: 12.

² المصدر نفسه، ج: 3، ص: 266.

³ المصدر نفسه، ج: 1، ص: 165.

⁴ معاني القرآن، الفراء . ج: 2، ص: 70.

⁵ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 30.

الظرف	"فإن جواب قوله: {فتكون من الظالمين} والفاء التي في قوله {فتطردهم} جواب لقوله: {ما عليك من حسابهم من شيء}، لأن الفاء فيها مردودة على محلّ وهو قوله: " ما عليك من حسابهم" وعليك لا تشاكل الفعل فإذا كان ما قبل الفاء اسماً لا فعل فيه، أو محلاً مثل قوله: عندك وعليك وخلفك" ¹	<p>چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ چ □ □ □ □ الآية: 52، سورة: الأنعام</p>	المحل	31
المنادى	قال الفراء: " وكذلك تفعل في كل اسم دعوته باسمه ونسبته إلى أبيه كقولك يازيد بن عبد الله " ²	<p>چ چ چ چ چ چ ی ی ی ی ی ی ی ی ی ی ی ی ژ ژ چ الآية: 116، سورة: المائدة</p>	المدعو	32
المبتدأ أو الخبر	" قال [الكسائي] أفرأيت ما جاء منها ليس بعده ما يرافعه، مثل قوله: حم، عسق...ما موضعه إذ لم يكن بعده مرافع؟، قلت: قبله ضمير يرفعه" ³	<p>چ أ ب ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ن ن ن ن ن ن الآيتان: (1-2)، سورة: الأعراف</p>	المرافع	33

¹ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 336.

² معاني القرآن، الفراء . ج: 1، ص: 326.

³ المصدر نفسه، ج: 1، ص: (369 - 370).

34	المردود	چ و و و و ی ی ی پ پ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ □ الآية: 27، سورة: هود	"ولا تكاد العرب تجعل المردود بالآ إلا على المبتدأ لا على راجع ذكره وهو جائز" ¹	البدل
35	الموقت	چ ف ف ف ف ف ف ف ج ج ج ج الآية: 07، سورة: الفاتحة	بخفض (غير) لأنها نعت للذين... ولا يجوز أن تقول: مررت بعبد الله غير الظريف إلا على التكرير لأن عبد الله موقت، و(غير) في مذهب نكرة غير موقته" ²	المعرفة
36	النسق	چ ك ك ك ك ك گ گ چ الآيه: 14، سورة: الإنسان	"وقد تكون الدانية منصوبة على مثل قول العرب: عند فلان جارية جميلة، وشابة بعد طرية، يعترضون بالمدح اعتراضاً، فلا ينون به النسق على ما قبله..." ³	العطف
37	النعته	چ ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج الآية: 03، سورة: غافر	"جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة، ألا ترى أنك تقول: مررت برجل شديد القلب، إلا أنه وقع معها قول: (ذي الطول) وهو معرفة فأجرين مجراه. وقد يكون خفضها على التكرير فيكون المعرفة والنكرة سواء" ⁴	الصفة

2. مصطلحات بصرية رفضها الكوفيون: لم يتخذ الكوفيون مبدأ المقابلة مع كافة

مصطلحات البصريين، بل رفضوا أحياناً التسليم ببعض مصطلحات سيبويه وأشياعه

¹ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 10.

² معاني القرآن، الفراء . ج: 1، ص: 07.

³ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 216.

⁴ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 05.

من البصريين، وربما كان الرفض نتيجة حتمية لتلك المناظرات الحادة التي دارت بين الفريقين، وعلى رأسها المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي، ومن بين المصطلحات التي أنكروها نذكر الأمثلة الآتية:

1.2 فعل الأمر: وهو عند البصريين قسيم الماضي والمضارع، ولدى الكوفيين غير قسيم لهما؛ بل هو من المضارع ومقتطع منه يتبعه في حركته، وهو معرب مجزوم وكأنه جزم بلام الأمر المحذوفة¹ حذفاً مستمراً نحو "قم" و"اقعد" والأصل (لتقم، ولتقعد) فحذفت اللام للتخفيف وتبعها حرف المضارعة، لدفع التباس المضارع الذي هو الطلب (الأمر) بالمضارع الذي لا طلب فيه²، وإن استعمل أحد الكوفيين مصطلح الأمر فهو لا يتجاوز معناه اللغوي.

2.2 اسم الفعل: وهو عند البصريين ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً ولم يتأثر بالعوامل³، وقسموه باعتبار دلالاته على الزمن إلى اسم فعل ماضي كهيئات وشتان، واسم فعل مضارع كآه ووي، واسم فعل أمر كصه ومه. بينما عدّه الكوفيون فعلاً حقيقياً استناداً لدلالاته على الحدث مقروناً بالزمان⁴.

3.2 مجموعة المفاعيل باستثناء المفعول به: عرف البصريون المفاعيل الخمسة وهي: (المفعول به، المفعول المطلق، المفعول لأجله، المفعول معه، المفعول فيه)، بينما أقر الكوفيون بمفعول واحد (المفعول به)، وعدوا غيره أشباه مفاعيل، لأن كل واحد

¹ المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي. ص: 114.

² شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى. ج: 1، ص: 55.

³ تطور المصطلح البصري من سيبويه حتى الزمخشري، يحيى عطية عابنة. عالم الكتب الحديث، ط: 1، الأردن، 2006، ص: 45.

⁴ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي. ص: 308.

2.3 الخروج: وهو مصطلح كوفي لم يضع له الفراء حداً، ولكنه صدر عنه استعمالاً في سياقات مختلفة، فعندما أعرب قوله تعالى: **چگ گگ گگ گگ گگ گگ گگ گگ** جمع¹ [سورة القيامة، الآية 03-04]. قال: "وقوله قادرين نصبت على الخروج من جمع"¹، فالخروج هنا هو عامل النصب في قادرين.

3.3 الصرف: عامل كوفي يقتضي اجتماع الفعلين بالواو أو الفاء أو ثم أو أو وفي أوله جحد أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام لا يستقيم ولا يكون ممتعا من أن يكرّر في العطف، فذلك هو الصرف، يكون فيه الجحد والطلب خاصا بالأول ومنصبا عليه دون الثاني. لذلك سميت الواو أو الصرف عند الكوفيين لا واو العطف ومنه قول الشاعر:

لا تنه عن فعل وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

4.3 الخلاف: عامل معنوي عند الكوفيين إذ قالوا إن الظرف ينتصب على الخلاف إذا وقع خبراً للمبتدأ نحو (زيد أمامك وعمر وراءك)، وقالوا بالخلاف في نصب المفعول معه نحو (استوى الماء والخشبة)، وقالوا به أيضاً في نصب الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب النهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض². وذهب المخزومي إلى القول بأن (عامل الخلاف قد تصيّد الكوفيون مما قاله الخليل في نصب المستثنى: "إنما نصب المستثنى هنا لأنه مخرج مما أدخلت فيه غيره" واستشهد لذلك بكلام الكوفيين أنفسهم في الاحتجاج لمذهبهم في نصب هذه الأشياء على الخلاف)³، كما يستغرب المخزومي أن يقول الكوفيون بالنصب على الخلاف في هذه المواضع. ولا يقولون به في النصب على الاستثناء، مع أن المخالفة في المستثنى أوضح فيما قبله⁴.

5.3 المثال: مصطلح كوفي لم يعرفه البصريون، ولم يتعرض له الفراء، ولعل "ثعلب" هو من انفرد بهذا المصطلح حين قال: "هذا تكون مثالا، وتكون تقريبا، فإذا كانت مثالا

¹ معاني القرآن، الفراء . ج:3، ص:208.

² المصطلح النحوي الكوفي، عمر حدوارة. ص:101.

³ مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي. ص:293.

⁴ المرجع نفسه، ص:293.

قلت: هذا زيد، أي هذا الشخص شخص زيد"، والمثال في نظر ثعلب هو كون المبتدأ اسم إشارة مخبر عنه باسم عن شخص (أي علم) فيكون هذا والاسم شيئاً واحداً.¹

2. المصطلح النحوي في المدرسة البغدادية: إن مدرستي البصرة والكوفة ظلتا منفصلتين حتى نهاية القرن الثالث، أو منتصف القرن الرابع الهجري حيث اندمجتا في مدرسة جديدة² هي مدرسة بغداد. ولقد ساهم نحاة هذه المدرسة في خلط المصطلحات الكوفية والبصرية واختصارها وتهذيبها.³ وقد نسب بعضهم الجذور الأولى لهذه المدرسة إلى الأخفش (ت215هـ) وفي هذا يقول محمد حسن محمود: " لما عاد سيبويه من بغداد وعلم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة خبره عزم على أن يثأر له فذهب متحمساً إلى بغداد"⁴.

إلا أن الانطلاقة الفعلية لهذه المدرسة كانت مع ابن كيسان، وهو يعد أول أئمة المدرسة البغدادية. فقد توفي سنة 299 للهجرة، وكان قد أخذ عن المبرد وثلعب وأتقن مذهبي البصريين والكوفيين في النحو.⁵ وتبعه في ذلك طائفة من النحاة، منهم من طغت عليه النزعة البصرية كالزجاج (ت311هـ) وابن السراج (ت316هـ) والزجاجي (ت339هـ). ومنهم من طغت عليه النزعة الكوفية كابن الأنباري (ت327هـ) وابن خالوية (ت327هـ)، ومنهم من تحرر من القيود العصبية المذهبية وهم البغداديون المتأخرون.⁶ الذين يعزى إليهم الانتقاء الجيد من المدرستين، محتجين مرة لهذه ومرة

¹ مجالس ثعلب/1/42 نقلاً عن: المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي. ص:186.

² الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك. مطبعة جامعة دمشق، ط:1، سوريا، 1383هـ/1963م، ص: 35.

³ خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاي. دار غريب، ط:1، مصر، 1425هـ/2005م، ص:401.

⁴ المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، محمد حسن محمود. دار عمان، (دط)، الأردن، (دت)، ص:75.

⁵ المدارس النحوية، شوقي ضيف. ص:248.

⁶ ينظر: المفيد في المدارس النحوية، إبراهيم عبود السامرائي. دار المسيرة، ط:1، عمان ، 1427هـ/2007م، ص:123.

لتلك، ولم يكتفوا بالاحتجاج فقط وإلا كانوا تبعاً لغيرهم، وإنما راحوا يستقلون بآراء جديدة من إنتاجهم.¹

وقد كان لهؤلاء - المتأخرين - وأولئك - المتقدمين - دور كبير في العناية بكتاب سيبويه والنهوض بالمصطلح النحوي، حيث عكف بعضهم على وضع شروحات لكتاب سيبويه كجانب من الجوانب التطبيقية عندهم، واتجه البعض الآخر إلى التعمق في الثقافات أو الانتماء إلى بعض المذاهب التي برزت في عصرهم متأثرين بمصطلحات تلك الثقافات، وتلك المذاهب فظهرت مصطلحات جديدة.² وعلى هذا الأساس يقسم المصطلح النحوي في المدرسة البغدادية إلى قسمين:

1- مصطلحات قديمة: وهي المصطلحات التي نجدها في مؤلفات أبي إسحاق الزجاج (ت311هـ) وأبي جعفر النحاس (ت368هـ) وأبي سعيد السيرافي (ت368هـ) والرماني (ت386هـ) وغيرهم ممن كانت لهم العناية بالكتاب.

فأبو جعفر النحاس مثلاً في كتابه (التفاحة في النحو) استخدم مصطلحات المدرستين البصرة والكوفة، لكن اختياره المفضل من المدرسة البصرية، رغم استعماله لبعض المصطلحات الكوفية مثل مصطلح الجحد والنعث وواو الصرف...³، وفي كتابه (شرح أبيات سيبويه) ركز على مصطلحات سيبويه واتخذ منها موقفين متباينين، فأحياناً يلجأ إلى الاختصار كقوله (باب كان)⁴ بدلاً عن (باب الفعل الذي يتعد اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل إلى اسم المفعول فيه لشيء واحد)⁵ عند سيبويه، وأحياناً يطغى عليه التأثير بأسلوب سيبويه فتأتي مصطلحاته طويلة العبارة شأنها شأن

¹ الاتجاه البغدادى في النحو العربى، عبد المجيد عيسانى. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع:2، الجزائر، 2003م، ص:155.

² خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاي. ص: 401.

³ الدراسات اللغوية في مصر من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري، شرف الدين علي الراجحي. دار المعرفة الجامعية، (دظ)، مصر، (دت)، ص:65.

⁴ شرح أبيات سيبويه، ص:41. نقلاً عن: خصائص التأليف النحوي، ص:402.

⁵ الكتاب، سيبويه. ج:1، ص:21.

مصطلحات الكتاب، من ذلك قوله: باب (ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر)¹.

أما السيرافي والرماني فكلاهما تناول كتاب سيبويه بالشرح، إلا أنهما اختلفا في كيفية التعامل مع مصطلحاته، ففي حين اتجه السيرافي إلى نقل مصطلحات سيبويه كما هي، أو يعقبها بالشرح والتوضيح، نجد الرماني في شرحه يتخير من مصطلحات الكتاب ما كان واضح المعنى مؤديا للغرض، وي طرح ما دون ذلك مستبدلا إياه بمصطلحات تكون أكثر ملاءمة للمسائل التي تعبر عنها.² كقوله (باب الظرف)³ بدلا عن (باب ما ينتصب من الأماكن والوقت)⁴، و(باب التوابع)⁵ بدلا عن (باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك)⁶. ومن هنا نلاحظ أن المصطلح النحوي قد حظي باهتمام كبير في المدرسة البغدادية.

2- مصطلحات جديدة: وهي مصطلحات خفيفة النطق قصيرة العبارة مختلطة بمصطلحات كلامية ومنطقية متفاوتة من حيث القلة والكثرة، وقد ظهرت هذه المصطلحات خاصة في مؤلفات الزجاجي وأبي علي الفارسي وابن جني، وهم من الذين جمعوا بين مصطلحات البصريين والكوفيين على السواء، وربما أعقبوا المصطلح بما يوحى بشرحه وتوضيحه أحيانا، أو عبّروا عن الفكرة بأكثر من مصطلح كما هو الحال عند ابن جني، من ذلك قوله: "باب المفعول فيه وهو الظرف"⁷، و"باب العطف وهو النسق"⁸، وإطلاقه مصطلحات "الذكر" و"العائد" و"الضمير" لأداء معنى واحد⁹.

¹ شرح أبيات سيبويه، ص: 138. نقلا عن: خصائص التأليف النحوي، ص: 402.

² خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاكي. ص: 404.

³ شرح الرماني، ص: 128، نقلا عن: خصائص التأليف النحوي، سعود بن غازي أبو تاكي. ص: 406.

⁴ الكتاب، سيبويه. ج: 1، ص: 201.

⁵ شرح أبيات سيبويه، ص: 138. نقلا عن: خصائص التأليف النحوي، سعود بن غازي أبو تاكي. ص: 402.

⁶ الكتاب، سيبويه. ج: 1، ص: 209.

⁷ اللع في العربية، ابن جني. تحقيق: حامد المؤمن، مطبعة النهضة العربية، (دط)، لبنان، (دت)، ص: 26.

⁸ المصدر نفسه، ص: 45.

⁹ الخصائص، ابن جني. ج: 1، ص: (18-26).

ومن هنا يتضح التباين في التعامل مع المصطلح النحوي بصورة جلية في مؤلفات أصحاب المدرسة البغدادية، الذين لجأوا تارة إلى التوضيح والشرح والتبسيط لتيسير النحو على المتعلمين، وتارة أخرى إلى الاختصار والدقة إذا كان موجها للمتخصصين.

3. المصطلح النحوي في الأندلس: وصل النحو إلى الأندلس عن طريق تسرب كتب المشرق إليهم، فأخذوا منها حاجتهم من اللغة والنحو. ويعد كتاب الكسائي أول كتاب نحوي دخل الأندلس عن طريق جودي بن عثمان العبسي (ت198هـ)¹، والسؤال الذي يقال هنا: متى دخل كتاب سيبويه الأندلس، مع أنه أسبق زمنا من كتاب الكسائي، والكسائي نفسه تخرج على كتاب سيبويه²، فإن أهملت الروايات تأريخ ذلك فإنها تثبت عناية أهل الأندلس بالكتاب، بل اشتهرت جماعة منهم بحفظه.

وبهذا يكون نحاة الأندلس قد جمعوا بين النحو الكوفي ماثلا في كتاب الكسائي، والنحو البصري ماثلا في كتاب سيبويه، إلا أن ما صنعوه لا يشكل مدرسة مستقلة، لأن عملهم كان قائما على الاختيار من آراء السابقين، وهذا الاختيار لا يمكن أن ينعت بأنه يؤلف مدرسة نحوية قائمة بنفسها، فنحاة الأندلس أخذوا من غيرهم ما راقهم، دون أدنى تعصب لهذا أو لذلك، إذ نظرنا فيما وصلهم من آراء النحاة نظر البصير المتفحص وأخذوا منها ما يناسبهم³. ومن أشهر أعلام الأندلس في النحو نذكر: محمد بن يحيى الرباعي (ت353هـ) وأبو القاسم السهيلي (ت581هـ)، وابن مضاء القرطبي (ت592هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت745هـ)... الذين استطاعوا أن يضيفوا إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين وخاصة أبا علي الفارسي وابن جني. ولا يكتفون بذلك، بل يسبغون في اتجاهاتهم من كثرة التعليقات والنفوذ إلى بعض الآراء

¹ القرآن الكريم وأثره على الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم. ص:164.

² الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان). تحقيق: حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ط:2، مصر، 1422هـ/2001م، ص:101.

³ مدرسة الأندلس النحوية أم درس النحوي في الأندلس؟، محمد موعد. مجلة التراث العربي، سوريا، ع:91، 2003، ص:32.

الجديدة، وبذلك يتيحون لمنهج البغداديين ضرباً من الخصب والنماء¹، من خلال الإسهام في تحرير بعض مباحث النحو وأبوابه ومصطلحاته، وتذليل مشاكله وصعابه، ويعد أبو حيان أهم من خلفوه من الأندلسيين خاصة وأنه من المتأخرين منهم، عاش بين القرنين السابع والثامن الهجريين، أي في زمن ظهرت فيه ملامح استقرار الدرس النحوي، لذلك جاءت مصطلحاته ثابتة لا تحمل جديداً، إذ لم يتجاوز دوره الاختيار والتسليم بما شاع منها وعم استعماله... وليس من الممكن أن يحاول تغيير اصطلاح قد شاع تداوله بين المتعلمين والنحاة، وهو في ذلك شديد الميل إلى المصطلح البصري، وشديد التأثير بقواعد المنطق والفلسفة، إذ كثيراً ما يذكر الحدود والتعريفات بداية الباب، حيث يورد تعريفاً عاماً لها، ثم يقوم بتحليل كامل لهذا الحد، ليبعده عن الغموض أو اللبس الذي قد يلحق به، بينما يلجأ أحياناً إلى عدم الإيغال في تحليل الحدود والتعريفات، وكأنه يرى أن التعريف وسيلة لتصور الموضوع لا غاية مقصودة وإذا كان الهدف من التعريف هو التبيين والوضوح، فإن الأبواب النحوية الواضحة لا تحتاج إلى حد، ولهذا نجد أبا حيان يردد عبارة: " أن هذا لا يحتاج إلى رسم ولا إلى حد". فمن ذلك قوله في باب التابع: وهو محصور بالعد، ولا يحتاج إلى رسم ولا إلى حد، وهو النعت، وعطف البيان والتوكيد والبدل وعطف النسق. وفي تعريف التركيب يقول: "التوكيد معنوي ولفظي والمعنوي تابع بألفاظ مخصوصة فلا يحتاج إلى حد ولا رسم".

وهكذا يتضح أن أبا حيان الأندلسي لم يكن ذا اهتمام بالمصطلح النحوي ولا بالحدود والتعريفات وهو ما يعكس استقرار المصطلح وثباته، وهو ما يفسر كذلك عدم التفات نحاة الأندلس إلى قضايا المصطلح وانشغالهم عنه بالأحكام النحوية ومباحث العلل. ولعل رفض ابن مضاء القرطبي لنظرية العامل وثورته على النحاة من خلال كتابه "الرد على النحاة" شغل الدارسين وأغفلهم عن العديد من القضايا

¹ المدارس النحوية، شوقي ضيف. ص: (292 - 293).

والشخصيات النحوية الجديرة بالدراسة، ومن ذلك ما ذهب إليه ابن رشد (ت1198م) في كتابه "الضروري في صناعة النحو" إلا أنه ظل مغموراً رغم ما احتواه من تغيير وتجديد.¹

4. المصطلح النحوي في مصر والشام: نشطت الدراسات النحوية في مصر والشام بدخول كتب النحاة البصريين والكوفيين إليها، وتأثرها بهم، حتى برزت إلى جانب المدارس النحوية الأولى (البصرة والكوفة) إلا أن إطلاق اسم المدرسة على حركة النحو في مصر والشام فيه تجوز إذا اعتبرنا وحدة الهدف، ووحدة الأصول، ووحدة المقاييس، ووحدة المنهج، لأن هذه الحركة كانت تتعدد فيها المناهج، وتختلف الأصول، وتتباين المقاييس². أي أنها مدرسة - إن صح القول - انتقائية انتخابية شأنها في ذلك شأن المدرسة البغدادية والأندلسية؛ ورغم ذلك تعصّب فريق منها لآراء البصريين ومصطلحاتهم النحوية ويمثل هذا الاتجاه "ابن الحاجب" (ت646هـ) الذي انتصر للمصطلح البصري وعمل به في شتى مؤلفاته. أما الاتجاه الانتخابي فيتجلى عند "ابن مالك" (ت672هـ) و"ابن هشام" (ت761هـ)، وقد عبّر السيوطي عن ذلك بقوله: "ولابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين. قال ابن هشام معلقاً: وهذه الطريقة طريقة المحققين، وهي أحسن الطريقتين"³ ولم يكتفِ ابن مالك بذلك، بل استطاع أن يظفر بمصطلحات نحوية لم يسبق إليها نذكر منها:

1- **النائب عن الفاعل:** وكان جمهور النحاة يسمونه "المفعول الذي لم يسم فاعله". قال الخضري: " هذه الترجمة مصطلح المصنف وهي أولى وأخصر من قول الجمهور: " المفعول الذي لم يسم فاعله" لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب

¹ ينظر: آراء ابن رشد النحوية في كتابه "الضروري في صناعة النحو"، د: أحمد جلايلي - أ: سمية بن صديق.

مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع:7، 2008م، ص:22.

² القرآن الكريم وأثره على الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم. ص:179.

³ الاقتراح، السيوطي. ص:102.

كالظرف إذ المفعول هو المراد عند الإطلاق، ولأنه يشمل المفعول الثاني في نحو: أُعْطِيَ زيدٌ ديناراً، وليس مراداً¹. وقال أبو حيان: "لم أر هذه الترجمة لغير ابن مالك والمعروف باب المفعول الذي لم يسم فاعله"²

2- البديل المطلق: بدل قولهم "بدل كل من كل"، وهو بدل الشيء مما هو طبق معناه، نحو قوله تعالى: **چ ط ڈ ڈ ف ف ف ف ق چ** [سورة الفاتحة، الأيتان: 6 و7].

وسماه ابن مالك البديل المطابق لوقوعه في اسم الله تعالى نحو: "إلى صراط العزيز الحميد الله" فيمن قرأ بالجر، فالله بدل من العزيز بدل مطابق ولا يقال فيه بدل كل من كل، وإنما لم يقل ذلك لأن كلا إنما يطلق على ما يقبل التجزي، فعند الإطلاق تدل كل على ذي أجزاء، وذلك ممتنع هنا لأن الله تعالى منزه عن ذلك.³

3- المعرف بأداة التعريف: وهو اصطلاح أورده ابن مالك بدلا عن التعريف بال، لأن من العرب من يعرف بأم، وهي لغة حميرية، إذ يجعلون بدل آل أم، فيقولون مثلا: انظر إلى امقمر، أي: انظر إلى القمر.

وبهذه النماذج من المصطلحات التي انفرد بها ابن مالك تتجلى مكانته النحوية، ولا يعكس ذلك منهج المصريين في صياغة مصطلحاتهم، فمنهجهم منهج البغداديين، حيث وظفوا مصطلحات البصريين والكوفيين ومن جاء بعدهم.

ثم توالى المصنفات النحوية بعد هؤلاء إلا أنها ظلت تحافظ على تراثهم دون تجديد أو ابتداء، واقتصرت على تحقيق وشرح وتحشية أعمالهم كما هو الحال في "شرح التصريح على التوضيح" على ألفية ابن مالك في النحو والصرف و"الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية" عند خالد الأزهرى، والأشموني في "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"... وغيرها كثير.⁴ إلا أنها رغم غزارتها لم تنفتح على

¹ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري. ص: 165.

² شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى. ج: 1، ص: 286.

³ المدرسة النحوية في مصر والشام، عبد العال سالم مكرم. دار الشروق، ط: 1، مصر، 1980، ص: 187.

⁴ ينظر: دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي، أحمد محمد عبد الراضي. مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، مصر، 2006، ص: 15.

التطور اللغوي والنحوي، ولم تستجب لدعوة الربط باللغات الأخرى، خشية أن يطرأ عليها حذف أو تحريف أو تغيير لبعض القواعد والمصطلحات النحوية مما يبعدها عن احتذاء النص القرآني.¹

وما سعى منها إلى تيسير النحو وتطويره كان مجرد محاولات قليلة ذات أهداف تعليمية، ولعل أولها وأهمها محاولة "إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى، لكنها قوبلت بالنقد والرفض التام فباعت بالفشل وأضحت حبرا على ورق.

رغم ما كانت تبشر به من تبسيط للنحو ومصطلحاته وتقريبه لمستوى الناشئة والمتعلمين، ما من شأنه أن يفك ضغط وازدحام الدلالات والإشارات والأحكام الدسمة وغيرها مما تعانیه اللغة العربية إلى جانب كثرة المصطلحات النحوية وغموض مدلولاتها.²

¹ المرجع نفسه، ص: 155.

² تيسير النحو ترف أم ضرورة؟ ، محمد صاري. مجلة الدراسات اللغوية، السعودية، 2001، ع: 02، المجلد الثالث، ص: (28-29).

لا يمكن بأي حال أن نعزل علما من الأعلام عن عصره وبيئته التي نشأ فيها، نظرا لما يلعبه المحيط الزماني والمكاني من تأثير في شخصية الإنسان، لذلك كان لزاما علينا أن نلقي نظرة على العصر الذي نشأ فيه الشيخ محمد الطاهر التليلي والبيئة التي احتضنته وصقلت شخصيته؛ قبل أن نتطرق إلى سيرة حياته الشخصية والعلمية، ونستعرض جهوده اللغوية وغير اللغوية، ونقف عند آثاره المطبوعة والمخطوطة.

1. البيئة الزمانية:

لقد عاش الشيخ التليلي - رحمه الله - في الفترة الممتدة بين (1910م/2003م) وقد شهدت هذه الفترة التاريخية العديد من الأحداث الشائكة التي كان لها الأثر البالغ في حياة الشيخ وتكوين شخصيته، وإذا أسقطنا ذلك على تاريخ الجزائر نجد أن حياة الشيخ مرت بمرحلتين هامتين، الأولى قبل الاستقلال والثانية بعده. إلا أن المرحلة الأولى رغم ما عرفته من أحداث جليلة فإن تأثيرها على الشيخ لا يبدو واضحا - إذا استثنينا المحطات الأخيرة منها - لأنه عايشها في مرحلة صباه.

1.1 المرحلة الأولى: أدرك الشيخ منذ مرحلة متقدمة من حياته ما يخضع له وطنه من جور وظلم تحت وطأة الاستعمار، خاصة بعد ظهور إرهابات الحرب العالمية الأولى [1914م-1918م]، وإصدار قانون كريميو الذي تم بموجبه منح الجنسية الجزائرية لليهود، فتجنّس حينها أربعون ألف يهودي، وواصلت فرنسا تطبيق مخططاتها السياسية الهادفة حتى تمكنت من تحويل الجزائر إلى جمهورية فرنسية صغيرة.¹

ويعد قانون التجنيد الإجباري الذي صدر مع بداية هذه الحرب أعظم خطب عاشه الشعب الجزائري آنذاك، حيث تمكنت قوات الاستعمار من تجنيد أربعين ألف شاب جزائري، استعملتهم كدروع بشرية كلما اشتد الوطيس واحمرّت الحذق، فقتل منهم أكثر

¹ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحدوف في القرآن: دراسة وتعليق، محمد بن سعد طالبى. رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص: (2-3).

من خمسين ومائتي ألف مجتد، وشرذ منهم من شرذ، وأما من بقي على قيد الحياة فقد ظهرت فيه أمراض مزمنة.¹

كل ذلك كان يحز في نفوس الجزائريين ولا بد له من ردة فعل عاجلة كانت أو آجلة، ويقدر ما سجلته هذه الحرب من نقم على الشعب الجزائري إلا أنها لقنته درسا إيجابيا جعله يؤمن بانتزاع استقلاله مهما كلفه الأمر.

ومن هنا انتشر الوعي القومي بين أفراد المجتمع الجزائري خاصة بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين، بزعامة عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - الذي دعا إلى الإصلاح الديني قائلا: "إننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا، ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها ولكن أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها. أن نبلغ من نفوسها إلى أقصى غايات التأثير عليها مما نعلمه ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة إنك مظلومة في حقوقك وإنني أريد إيصالك إليها، يجد من يقول لها إنك ضالة عن أصول دينك وإنني أريد هدايتك، فذلك تلبيه كلها وهذا يقاومه معظمها أو شطرها"².

ومن هذا المنطلق أعلن الشيخ التليلي انتماءه إلى الجمعية وتواصل مع رئيسها وأعضائها، حيث وجد فيها ما يتناسب ومبدأه في الدعوة إلى الله، وتنبير العقول وكشف الملايسات عنها.

واستمر نشاط الجمعية في العمل السياسي والدعوي والإصلاحي إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية [1939م-1945م]، حيث سعت فرنسا إلى تجميد نشاطها محاولة كسب ولائهم في حربها مع ألمانيا، إلا أن الجمعية رفضت رفضا قاطعا كل العروض والمساومات المقدمة لها، وصرح رئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بكلمة فحواها

¹ ينظر: من مظاهر المقاومة الجزائرية (1954/1830)، محمد الطيب العلوي. المتحف الوطني للمجاهد، ط:1، الجزائر، 1995، ص: (184-185).

² الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحدوف في القرآن، محمد بن سعد طالبي. ص:04.

أن "مولاة المستعمر خروج من الإسلام"¹ مما أدى إلى نفيه وسجنه ليلتحق بأعضاء حزب الشعب الذين طالبوا بالاستقلال.

وقد كان الشيخ محمد الطاهر التليلي يرصد ما يجري من أحداث بعناية واهتمام. حيث ازداد حاله سوءاً حين تقابلت جيوش الحلفاء والمحور في تونس وعلى الحدود الجزائرية الشرقية، فكانت منطقة (سوف) مسرحاً لمعارك بين الطرفين، ولم تتجل هذه الغمة إلا بعد سنة 1945م.²

وما إن أشرفت هذه الحرب على النهاية، وأعلن انتصار دول الحلفاء على دول المحور، حتى خرج الجزائريون في مظاهرات عارمة في كل من سطيف، قالمة، خراطة.... باعتبار الجزائر حينها قطعة فرنسية، لكن تصدت لهم القوات الفرنسية وحولت فرحتهم إلى مجازر أسفرت عن سقوط خمسة وأربعين ألف شهيد.

وما تزيد المأساة الجزائريين إلا إصراراً وتيقناً من عدم جدوى العمل السياسي، وضرورة التفكير في العمل المسلح، فلم يعد أمامهم بد من أمرين اثنين إما نصر وإما شهادة. أما الشيخ التليلي فلم يحتمل الموقف وسال يراعه تلقائياً بهذه الكلمات:³

¹ جهاد الجزائر، أحمد بن نعمان. مطبعة البعث، ط:2، الجزائر، 1998م. ص: (103-104).

² ينظر: الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، ع:102، 2003، ص:63.

³ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ج:2، ص: (03-11).

في ثامن من مايهم بالضبط زربوطهم أبان عدل المعطي
 وكورهم موزع بالقسط على رؤوس المسلمين الشُّمط
 فنائم في بيتهم بالغطَّ وغافل في السوق أو في الرهط
 أيقظه للموت ذاك القبطي
 فلو رأيت تعساء الحظ بين سطيف وهضاب القيظ
 منجدلين بالمدى والرُّعظ في يوم عيد النصر عيد الغيظ
 إذا مائة الألف كلمح اللحظ من مسلمين قتلوا بَقَظَّ
 بحقده ممتلئ مكتمظ

ثم يواصل قائلا:

قد ذهبوا فلا النساء تبكي ولا الرجال بقيت فتحكي
 وقطع الإياس كل سلك من الرجاء لارتفاع الدرك
 بصرحنا المنهدِّ والمندكَّ إلا بصيصا في غد من ملك
 من يعرُب أو من بلاد الترك*

ومع هذا الحدث التاريخي الرهيب تكاثفت جهود القادة الجزائريين ورؤساء الأحزاب والجمعيات محاولة إيجاد خطة محكمة وحل عسكري عاجل ينفس كرتهم، وما إن حلت (سنة 1954م) حتى بادروا إلى تشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل وكان ذلك في (23 مارس 1954) حيث حاولت اللجنة أن تقضي على الخلافات الداخلية بين الجزائريين، وأن توفق بين جناح المصاليين الداعي إلى مواصلة العمل السياسي، وجناح اللجنة المركزية الراض لذلك¹؛ لكنها باءت بالفشل بعد محاولات عديدة لم تجدها نفعاً.

إلا أن نخبة من أعضائها لم يستسلموا وواصلوا دعوتهم إلى الجهاد فيما يعرف تاريخياً بلجنة الستة، وتضم كل من (مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، وديدوش مراد، رابح بيطاط، محمد بوضياف، أكرم بلقاسم)، وعقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات

¹ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحدوف في القرآن، محمد بن سعد طالبي.

تحضيرية ضُبط في آخرها تاريخ اندلاع الكفاح المسلح، وقُدِّم فيه نص بيان أول نوفمبر.

وفي ذلك الموعد - أول نوفمبر 1954- على الساعة الصفر أعلنت انطلاقة الثورة التحريرية بشكل فعلي. وكانت بداية لتحرير الجزائر وتطهير أرضها من ربق الاستعمار الاستيطاني الذي جثم عليها أزيد من أربع وعشرين ومائة سنة.¹

وما كنت لأخوض في هذا الجانب التاريخي السياسي، لولا أن الشيخ التليلي حمل على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الوطن، فتعقب أحداث هذه المرحلة بلوعة وأسى، خاصة ما تعلق منها بتفجير الثورة، التي صادفت مرحلة نبوغه وبداية عطائه، فلم تتردد نفسه ولا قلمه في التصدي لوجه المستعمر، حيث أبلى بلاء حسنا حين سخر قلمه لنشر الروح الوطنية وتنقيف الناشئة وإشعارهم بالمسؤولية.

وقد سجّل ديوانه - الدموع السوداء - ما جادت به قريحته في هذه المواقف الحاسمة إذ يقول:²

وحيّ المجد تحت ضيا الهلال	صغير الشعب هيا للمعالي
فذاك النجم قد ناداك هيا	وأدرك من علو نجم الكمال
لأن ترقى ويرقى بك الزمان	صغير الشعب قد آن الأوان
بلادك فلتعش أبدا وتحيا	فكسرى اليوم أنت وذا الإيوان
على ساق العزيمة وانظرنهم	فقف يا ابن الذين أراك منهم
تجدهم حلقوا فوق الثريا	وصفح معجم التاريخ عنهم
فحاذر أن تكون لها خوونا	بلادك تبتغي منك الديونا
وما ترضاك لو تلويها ليا	فما ترضى لغيرك أن تكونا
لها تاج على الأفلاك تاهها	فها هي الجزائر يا فتاهها

¹ ينظر: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر (1962/1830م)، عمار هلال. ديوان المطبوعات الجامعية، (دظ)، الجزائر، 1996م، ص: (380-381).

² الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ج:2، ص:81.

ولكن أمس في الأجواء تاهها
فغيرك من صغار القوم هبوا
وقد شقوا الصعاب فليس شعب
صغير الشعب أنت غدا كبير
وليس له لدى البلوى مجير
فهلا اليوم تأتي به عليا
وللأوطان قد هرعوا ولبوا
تراه اليوم إلا أصمعيها
وشعبك بالعلأ أبدا جدير
من الأسراء غيرك أحونيا

2.1 المرحلة الثانية: هكذا مرّت المرحلة الأولى من حياة الشيخ بمرارتها إلى أن أعلن استقلال الجزائر في (05 جويلية 1962م) فغير مجرى التاريخ، رغم الأوضاع المزريّة المصاحبة له. ولم يكن يخفى على الشيخ التليلي وأمثاله ما آلت إليه البلاد حينئذ، حيث وصلت نسبة البطالة إلى تسعين بالمائة وتجاوزت نسبة الأمية ذلك، في حين بلغ عدد المشردين ثلاث مائة ألف نسمة ويفوقه بكثير عدد المعتقلين واللاجئين، كل هذا فوق حصيلة الشهداء المقدرة بمليون ونصف المليون شهيد.¹

لذلك كان حال الشيخ في هذه المرحلة وموقفه متأرجحا بين الاستياء لهذه النتائج الثقيلة ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري، وبين فرحة الاستقلال الكبرى والتفاؤل بمستقبل زاهر للبلاد، ولقد تحقق شيء من ذلك في فترة معينة ساد فيها الأمن والاستقرار، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد استتباب الأمن عاد الفزع والجزع من جديد، في حوادث 05 أكتوبر 1988م، بظهور فكرة التعددية الحزبية، حيث ظهرت الزمر السياسية والعسكرية، وأبدت صراعا من أجل السلطة، إذ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾²، فكان ما كان وعاشت الجزائر حينها سنوات عجافا.³ وكان لهذه الأحداث وقعها في نفس الشيخ فزادته ألما وأسى.

¹ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن، محمد بن سعد طالبى.

ص: 08.

² سورة الروم، الآية: 32.

³ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته، ص: 09.

واستمرت الحال على هذا المنوال إلى أن بشر الشعب بقانون الوئام المدني الذي أعلن عنه في سبتمبر 1999م، وهو يدعو إلى إحلال الأمن والسلام بين أوساط المجتمع.

وكانت هذه المرحلة آخر محطة سياسية في حياة التليلي، حيث أعرب عن فرحه بهذه المبادرة الطيبة التي طالما انتظرها، ودعا إلى تكريسها من أجل وطن آمن وشعب موحد.

2. البيئة المكانية:

لقد نشأ الشيخ محمد الطاهر التليلي بين أحضان أسرته المتواضعة بمنطقة قمار. وذلك حسب ما صرح به في سيرته الذاتية حيث قال: "لا أعرف الآن من نشأتي أكثر من أنني ولدت في قرية قمار. قرية من قرى سوف بالواحات من صحراء الجزائر، ونشأت فيها وتعلمت"¹. ولا نقصد هنا معرفة خصائص هذه المنطقة وتحديد موقعها الجغرافي، بقدر ما نهدف إلى الاطلاع على الوسط الاجتماعي الذي تربي فيه الشيخ، والأوضاع المحيطة به.

فقد نعم الشيخ منذ طفولته بما ينعم به الصبيان من حفاوة بين أحضان والديهم، إذ لم يقصر والده* في حقه من التربية والرعاية والتعليم حتى بلغ أشده واستقام عوده، فزوجه من أخت صديقه الشيخ الحفناوي هالي وذلك سنة 1935م.

وهنا أحس الوالد أنه قد أتم نعمته عليه، فأرسل إليه رسالة شفوية، كان لها وقع حاد في نفس الشيخ، يُعلمه بمقتضاها بضرورة التخلي عن التبعية إليه والاعتماد عليه، وضمّنها قوله: " أي بني: لقد أديت واجبي نحوك وقمت بأكثر من حقك علي، فعلمتك وهذبتك وكبرتك وزوجتك وصننتك، وعن الغير أغنيتك، وحفظت عليك كرامتك، فلم أتركك لاحتياج، أو إهانة أو مذلة أو إراقة ماء وجهك للغير طيلة حياتك حتى هذه

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 02.

* هو بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي الفرياني (نسبة إلى فريانة بتونس حيث أصل انحدر الأسرة)

الساعة، فآن الأوان الآن أن تقوم بواجبك نحو نفسك وأهلك ولوازمك وتخفف عني ما أثقل كاهلي منذ سنين طوال، فمن الآن اعتمد على نفسك وتوكل على الله وابحث عن حركة تعيلك وحرفة تعيشك، ولا تكن كلا عليّ أو على أحد من الناس، ففتش لك عما يعيش أو يريش ولا تكن ريشة بين الريش وشمر عن ساق الجد واخرج إلى الحياة فهي تطلبك وأبرز لها فإنها تحبك وتريدك"¹

كان الشيخ في غفلة من أمره إذ كثيرا ما طلب منه التعليم فأبى "لا كراهة في التعليم بل كراهة فيما يحوم حوله من اتفاقات وإهانات وحالات مخزيات لا تبعث على احترامه ولا تبعث لإكرامه"².

ورغم ثقل المسؤولية إلا أن الشيخ حمل الرسالة محمل الجد وبدأ المواجهة، يقول الأستاذ محمد التجاني زغودة - رحمه الله - معبرا عن وقع الصدمة: "وهنا بدأت محنة الشيخ وصراعه العنيف مع الفقر وكسب قوت العيال، وكانت آفاق الكسب والاكتساب وقتئذ وأمام أمثاله من الشباب وإن لم تكن مغلقة تماما فهي شبه مغلقة مما اضطره - حفاظا على كرامته وأنفته وعلو همّته وعفته - إلى الأعمال الجسيمة الشاقة كرفع الرمل والعمل في المزارع كأجير أو ممارسة بعض التجارات البسيطة التي لا تدرّ مالا ولا تحسّن حالا، حتى إذا اشتد به الأمر وضاق به الحال اضطر إلى بيع كتبه، وحين خاطبته زوجته في ذلك متعجبة لصنيعه كيف يبيع الكتب التي طالما أجلّها وآثرها على كل شيء في حياته؟ أنشأ يقول:

قالت وأبدت صفحة	كالشمس من تحت القناع
بعث الدفاتر! وهي آخر	ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدي على كبدي	وهمت بانصداع
لا تعجبي مما رأيت	فنحن في زمن الضياع

وما لبث الشيخ أن عاد بحثا عن التعليم على كراهة واضطرار وهو يردد قول الشاعر:

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: (32-33).

² المصدر نفسه، ص: 33.

يأتي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

واستشار في ذلك أعضاء جمعية العلماء، فكلفوه بالتوجه إلى مدرسة بجاية. فانطلق إليها دون تردد وسُلم وظيفة الإمامة والخطابة بالمسجد الجامع هناك، وحمد الله الذي أخرجته من بلاد الفقر إذ قال:

حمدت إلهي يوم منَّ بنعمة
تري أهلها فيها كأن وجوههم
وأخرجني من سوف بلد القفر
بها غبرة الأموات بالجوع والفقر

ولكن ما هي إلا أسابيع حتى استدعاه حاكم البلدة، وأمر أحد أذنابه أن يلقي به في السجن مع أصحاب الجرائم، وقد وصف الشيخ هذا الموقف قائلاً: "فكان الأمر كما أمر وزجَّ بي في السجن جانياً مجرماً وجنايتي عنده وعند أمثاله ديني الصحيح وإرشاد الناس إليه، ووعظي إياهم بما أنشره فيهم من تنوير عقول وتنقيف أفكار"¹ ولم يبد الشيخ استياءه بهذا الوضع الحرج، إذ اتخذ من السجن مدرسة ثانية، جعلته يتجاوز آلام الإهانة والتعذيب فواصل رسالته هناك، حيث يقول: "بل كنت أعلم في السجن وأوصي بأولئك العمال أو ببعضهم في بعض الأحيان وكانت محادثتي كلها معهم حول العلم والتعليم والوعظ والإرشاد لما وجدته من الاستعداد والقبول في أولئك العمال والمستخدمين"².

وما إن أفرج عنه وانفكت قيوده حتى إتجه إلى مسقط رأسه، لأن الحاكم الفرنسي هناك طرده منها - أي مهنة التدريس - بدعوى عدم امتلاك رخصة رسمية للتعليم وأنه أجنبي على المنطقة³، وهناك باشر الشيخ الفلاحة وخدمة الأرض من جديد، متجرعاً آلام الفقر والبطالة.

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 42.

² المصدر نفسه، ص: (42-43).

³ الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. مجلة مجمع اللغة العربية. مصر، ع: 102، ص: 63.

ولعل ديوان الشيخ من عنوانه "الدموع السوداء" يعكس الأوضاع الاجتماعية التي عاشها، والعوائق التي حالت بينه وبين تحقيق طموحاته، ناهيك عن العديد من المواضع التي صرّح فيها الشيخ بقساوة العيش في عصره إذ يقول:¹

يا دهر مالك لا تنن تضجراً
فأنت راض بالذي فينا جرى
يا دهر إني بالنيابة مشتك
أشكو إليك خصاصة وتضرراً

وفي موضع آخر يقول:*

غانني الدهر وهو غول أكول
لم يدع لي ولو شجيرة خس
مستي الفقر وهو داء عضال
بعذاب ولا كشيطان مس

حتى يحسب قارئ الديوان أن الشيخ شديد الحرص على الحياة الدنيا، ولكن صديقه الأستاذ محمد التجاني زغودة - رحمه الله - يثبت غير ذلك في قوله: "فالحق أن الأمر على ما شاهدته وخبرته من شأن الشيخ على خلاف ذلك، فشكواه من الفقر مردّها إلى كون الفقر يحول بينه وبين كثير من مكارم الأخلاق التي لا يتوصل إلى تحقيقها إلا بوفرة المال....."²

وحري أن ينزّه عالم جليل كالشيخ التليلي عن طلب متاع الدنيا وزينتها، فما حرّ في نفسه إلا ما كان حائلاً بينه وبين مكارم الأخلاق، وما فاته من خير لأخراه. ولا ينسب إليه ذلك بمسوغ فهو القائل في الزواج بأنه "أحد قيود المذلة ودرهم نصاب الإهانة والشقاء، بل هو الذي ينبت في القلب شجرة الخنوع والخضوع المرّة وحشيشة العار والدمار وحنضلة الركود والجمود..."³، وهو من كان يأبى المكانة والظهور، ويرفض المناصب إذ تسند إليه وفي هذا يقول: "بعد ما سجّل اسمي في عضوية هذا

¹ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ج: 1، ص: 77.

* هذان البيتان من إحدى روائع الديوان تضاهي سينية البحري ستجدها - بإذن الله - كاملة في الملحق.

² العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي: قراءات في سيرته وفكره وآثاره، مجموعة من المختصين. شركة مزوار، (دط)، الوادي، (دت)، ص: 23.

³ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 32.

المجلس - المجلس الإسلامي الأعلى بوزارة الأوقاف- من دون علم مني، فرفضت المشاركة في العضوية والتوجه جريا على عادتي في الهروب من الرسميات، ومن الظهور في المجتمعات أو من بين الشخصيات"¹، ثم هذه شهادة الأستاذ التجاني زغودة -رحمه الله- أكثر الملازمين له: "عاش-الشيخ التليلي- للعلم والتعليم والإفتاء والنصح والإرشاد والتوجيه والإصلاح وتكوين جيل صالح يخدم أمته ويزود عن كرامة وطنه. وهب حياته لكل ذلك في تواضع ونكران للذات وعفة وتقى لا لدنيا يصيبها، أو رتبة يحصل عليها، أو مال يجمعه، أو سمعة ووجاهة يباهي بها، أو ينال بها حظا من حظوظ هذه الدنيا..."²

هكذا كان الوسط الاجتماعي والأوضاع المحيطة بالشيخ التليلي عاملا مؤثرا في حياته إذ رسم عليها صورة الزاهد الورع الذي أثر أخراه على دنياه، حيث "ختم حياته الكريمة بتحبيس مكتبته الثمينة على الجامعة الإسلامية بقسنطينة ليعمّ نفعها العلماء وطلبة العلم ويستفيد من قطفها الباحثون والدارسون"³

3. حياته الشخصية والعلمية:

لقد كفانا الشيخ عناء البحث في سيرته وعوامل تكوين شخصيته، إذ قدّم لنا ذلك مستوفى جاهزا في سجل مذكراته بعنوان "هذه حياتي"، وجعل ذلك واجبا على كل عاقل، حيث قال: "فعلى العاقل أن يسجل حياته بقلمه ما دام في فسحة الحياة، فهو أدري بنفسه وأعلم بدخيله"⁴ وقد التزم الشيخ في هذه المذكرات بعرض مختلف محطات حياته، فما عدنا إلى غيرها في هذه الترجمة إلا نادرا.

¹ العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: 21.

² المرجع نفسه، ص: 22.

³ المرجع نفسه، ص: 23.

⁴ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 01.

والشيخ التليلي هو محمد بن بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي الفرياني، وأسرته انحدرت من فريانة* وعرفت بأولاد تليل و"لهم زاوية كانت تنشر العلم مسماة على جدّه سيدي تليل، الذي نسبه النسابون إلى الخليفة عثمان بن عفان**¹؛ ونسبة إليهم لقب الشيخ محمد الطاهر بالتليلي.

أما عن مولده فقد كان ببلدة قمار في السادس من ذي الحجة سنة 1328هـ الموافقة لسنة 1910م. ولقد أكب الشيخ منذ نعومة أظافره على التعلم القرآني، حيث التحق بكتّاب القرية وهو في الخامسة من عمره بإشارة من جده كما صرح بذلك في مذكراته: "أدخلني والدي بإشارة جدي لأبي كتّاب القرية المعروف إذ ذاك بجامع الطلبة، وكان المؤدب فيه الشيخ المرحوم السيد أحمد بن حمّ الأخضر بن المحنط المتوفى حوالي 1342هـ"²

وهناك قضى الشيخ سنة كاملة عرف فيها حروف الهجاء، وقرأ فيها الحزب الأول (من الأعلى إلى الناس) قراءة لا حفظاً، وذلك "لأن القواعد الكتابية والقضايا المسلّم بها يومئذ أن الطفل يجب عليه ألا يحفظ شيئاً من القرآن بادئ أمره، فلا يشغل بالحفظ ولا التكرار وإنما عليه أولاً أن يتعلّم استقامة السطور وإمساك اللوح والقلم وإتقان كتابة الحروف وكيفية وضعها فحسب"³، ويبقى على هذا إلى أن يتم القرآن كاملاً قراءة وكتابة دون حفظ.

* هي قرية تقع قرب قفصة من البلاد التونسية.

** وذكر "محمد بوكحيل" في مقال له بعنوان: الشيخ التليلي نموذج للمثقف العربي المنشود: "أن الشيخ محمد الطاهر التليلي أصله عربي من نسل أبي بكر الصديق. كما ذكر ذلك أيضاً الدكتور أبو القاسم سعد الله حين تعرّض لجهوده اللغوية، ينظر: الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، ع: 102، ص: 61.

وهو مخالف لما أورده في تقديمه لمسائل الشيخ القرآنية، وهو ما أخذنا به، وما ثبت عند الشيخ في مذكراته.

¹ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، الشيخ محمد الطاهر التليلي. تقديم أبو القاسم سعد الله، دار الأمة، (دط)، الجزائر، 1994، ص: 07.

² هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 05.

³ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته، محمد بن سعد طالبي. ص: 17.

لكن جدّه أدرك عدم جدوى هذه الطريقة، ومدى تضییعها لوقت الفتى، فأمر بإخراجه من هذا الكتاب لياشر تعليمه بنفسه، وكان له خير مؤدب. وسرعان ما جمع الفتى بين حفظ القرآن وحفظ المتن كمتن ابن عاشر ومتن الأجرومية...

وبعد عجز جده عن مواصلة تعليمه تردد بين شيوخ القرية* ليتعاطى بعض العلوم العربية والدينية المختلفة - التي طالما أرشده جده إليها- من ذلك ملازمته لدروس الشيخ أحمد اللقا في النحو. وقد قرأ على أيديهم العديد من الكتب أهمها:¹

- شرح ميارة على متن ابن عاشر في الفقه المالكي.
- الجزء الأول من مختصر خليل في الفقه المالكي.
- كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- شرح الرحبية في الفرائض.
- شرح الأجرومية وقطر الندى ومقدمة الإعراب في النحو.
- المقدمة الجزرية في التجويد.
- وصحيح البخاري

كما قرأ الكثير من المحفوظات المدرسية مثل قصيدة ابن الوردي المسماة "نصيحة الإخوان"، والكثير من المقتطفات النثرية والشعرية.

وبهذا الزاد المعرفي الهائل أصبحت للشيخ عدّة الطالب للدخول إلى جامع الزيتونة بتونس، وإليه اتجه، وبه التحق، ومكث هناك سبع سنوات ينهل من عطاء علمائه. حيث كانت دروس السننتين الأولى والثانية مكررة بالنسبة إليه قد قرأها على يد الشيوخ

* ذكر الشيخ في مخطوط له بعنوان "مجموع مسائل تاريخية"، ص: (92-98) أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم علوم اللغة والدين وهم:

- أحمد بن محمد اللقا [1305هـ . 1360هـ]

- محمد العزوي بن الصادق بن الحاج حوحو العقبى [ت 1364هـ]

- محمد بن السائح اللقاني [1313هـ - 1388هـ]

- عمار بن الحاج عبد الله بن الأزعر القماري [ت 1389هـ]

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: (12-13).

في قريته، فأعاد قراءة الكتب قصد الإتقان والاستزادة. إلى جانب ذلك قرأ - في هذه المرحلة - بعض الكتب الأخرى نذكر منها:¹

- كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- شرح قطر الندى.
- عنوان النجاة في الرسم والكتابة.
- الاقناع في رسم اليراع.
- شرح الباجوري على كتاب التوحيد.
- شرح المارغني على جوهرة التوحيد.
- كتاب الزنجاني في الصرف.
- كتاب ايساغوجي في المنطق.
- القراءات رواية ودراية.

وهكذا ظل الشيخ يتخير أحسن الكتب وأفضل الشيوخ وأنسب الأوقات إلى أن حل موعد الإمتحان، فاجتازه الشيخ بأمان ونال نجاحه بتقدير حسن جدا، وكتبت هذه الملاحظة في دفتره الذي انخرط به في سلك النظام الزيتوني للدراسة الدائمة.²

وفي السنة الثالثة وجد الشيخ نفسه أمام نظام محكم مقيد، واقتصرت استفادته في هذه السنة على قراءة أربعة كتب وهي:

- الجزء الثاني من كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- شرح المكودي على ألفية بن مالك.
- شرح الحطاب على الورقات.
- شرح جوهرة التوحيد.

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص:13. (هكذا ذكر الشيخ عناوين الكتب دون نسبتها إلى مؤلفيها)

² الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته، محمد بن سعد طالبي. ص:30.

وينتقل الشيخ إلى السنة الرابعة وفيها قرأ الكتب الآتية:

- شرح الدردير على مختصر الخليل.
- الجزء الأول من شرح الأشموني على خلاصة ابن مالك.
- الجزء الأول من شرح التاودي على العاصمية.
- الرحيبة في علم الفرائض.
- الجواهر المكنون في البلاغة للأخضري.
- شرح الشبرخيتي على الأربعين النووية في الأحاديث النبوية.
- إيصال السالك في أصول مالك.
- أدب الدين والدنيا للماوردي.

كما قرأ أيضا - في هذه السنة - علم الإنشاء والرسم. واجتاز امتحان نهاية السنة منتقلا إلى السنة الخامسة وفيها أتم دراسة الكتب الآتية:¹

- الجزء الثاني من شرح التاودي على العاصمية.
- الجزء الثاني من شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.
- الجزء الثاني من شرح الدردير على مختصر الخليل.
- الجزء الأول من شرح التنقيح للقراقي.
- الجزء الأول من شرح التهذيب في المنطق.
- الجزء الأول من السعد على التلخيص في البلاغة.
- شرح الوسطي في العقائد.
- تاريخ تونس للشيخ حسن حسني عبد الوهاب.

كما قرأ - رحمه الله - في هذه السنة الحساب والجغرافيا. وأتم الشيخ هذه السنة بتفوق أهله إلى السنة السادسة، حيث واصل قراءة ما بدأه في السنوات الماضية اتِّباعاً للمقرر السنوي من خلال الكتب الآتية:

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 23.

- الجزء الثالث من شرح الدردير على مختصر الخليل.
- الجزء الثالث من شرح الأشموني على الألفية.
- الجزء الثالث من التاودي على العاصمية.
- الجزء الثاني من السعد على التلخيص في البلاغة.
- الجزء الثاني من شرح التهذيب في المنطق.
- الجزء الثاني من شرح التنقيح للقرافي.
- شرح المعلقات السبع.

كما درس القسم العملي من شرح الدرّة البيضاء في الفرائض، متأهلاً بعده إلى المرحلة الختامية، التي كانت بعد سنة من ذلك نتيجة قضاء سنة بيضاء في الجامع الزيتوني لا دراسة فيها ولا امتحان ولا شهادة، ذلك أن الطلبة أضربوا واعتصموا عن الدراسة حتى تتحقق مطالبهم، والتي من بينها رجوع شيخ الجامع وقتئذ وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور* عن فتواه التي أشيعت عنه بأنه جوّز التجنس بالجنسيات الأجنبية... وقد حاولت الحكومة وشيخ الجامع أن تستمر الدراسة ويقع الامتحان فلم تنجح كل المحاولات، وسمي هذا العام بعام التجنيس.¹ وفي ذلك يقول الشيخ: "لم تقع الامتحانات وبالتالي لم تحسب لي تلك السنة من سنيّ الدراسة اللازمة لي وطرحت من الحساب، فاستأنفت سنة أخرى... وكانت قراءتي هذه السنة - السنة السابعة - مرتبة كما يلي:

- الجزء الثالث من السعد على التلخيص في البلاغة.
- الجزء الرابع من شرح الدردير على مختصر الخليل.
- الجزء الرابع من شرح الأشموني على الألفية.
- الجزء العملي من شرح الدرّة البيضاء في الفرائض.
- لباب الفرائض للشيخ محمد الصادق الشطي.
- كتاب الجالين في التفسير والكثير من تفسير الكشاف.

* هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور [1296هـ-1393هـ]

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 24.

■ مختصر ابن أبي حمزة لصحيح البخاري¹

وهكذا استحق الشيخ نيل شهادة التطويح بجدارة وتفوق، وكان ذلك سنة 1353هـ الموافق لـ 1934م، وهي الشهادة التي تؤهل صاحبها للتعليم في المدارس، وتولي الوظائف الدينية والتربوية². إلا أن همّة الشيخ ورغبته لم تنحصر في حدود الدراسة النظامية والمقررات السنوية؛ بل لم يقصّر - رحمه الله - في حضور حلقات العلم خارج الجامع وتطلّع إلى كتب أخرى أهمها:

■ كتاب الجامع الصغير للسيوطي.

■ جزءا كبيرا من كتاب الفروق للقرافي.

■ وقسطا من شرح الإحياء للغزالي.

بالإضافة إلى دروس أخرى متنوعة في الفقه والتفسير والإنشاء والبلاغة والطب* ومبادئ اللغة الفرنسية وغيرها³.

ولقد أشرف على تعليم الشيخ محمد الطاهر طيلة هذه السنوات العديد من الأعلام التونسيين، الذين أحصاهم الشيخ بأسمائهم مكتفيا بتحديد مجالات الإفادة عنهم فقال: "وهذه قائمة لأسماء بعض شيوخي الذين أخذت عنهم القرآن أو العلم واستفدت منهم فوائد علمية... ولم أقصد غير جمع الأسماء فقط في هذه القائمة من دون ذكر الفوائد أو وفياتهم أو ترتيبهم أو ذكر شيء من تاريخهم اللهم إلا في القليل النادر"⁴ ومن هذه القائمة الطويلة نذكر:

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 24.

² الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. ص: 62.

³ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 26.

⁴ المصدر نفسه، ص: 82.

* كثيرا ما تردد الشيخ على الدروس التي كان يلقيها الحكيم محمود الماطري في الطب.

أ- شيوخه في علم التجويد: وهم: مختار المؤدب، محمد الهادي الكلبوسي، التجاني زفزوف، محمد الجديدي البنزرتي، أبو الأذنين.

ب- شيوخه في العلوم المختلفة: ومنهم: محمد العربي الدرعي، محمد بن الأمين، إبراهيم النيفر، أحمد العياري، الشاذلي بن الضيف، محمد العزيز النيفر، عثمان بن المكي التوزري، محمود بن قاسم ساكيس، أحمد بن عثمان الشواشي، محمد الزغواني، محمد البشير النيفر، الطيب سيالة، محمد الناجي بن مراد، محمد الهادي العلاني، محمد الناصر الصدام، معاوية التميمي، محمد الحطاب بوشناق، محمد الصالح بن مراد، عبد السلام التونسي، أحمد الجربي أو الجزيري، محمد الشاذلي الجزيري، محمد الصادق الشطي، حسن بن يوسف، محمد بن الزنايقية، محمد بن القاضي، عثمان بن الخوجة، أحمد الأصرم، مصطفى القمودي، الطاهر بن عاشور، محمد بن يوسف، علي بن الخوجة الأصهب، أحمد بن الأمين، المختار البجاوي، المختار بن محمود، أحمد عياد، محمد الهادي بن القاضي، صالح المالقي، صالح العسيلي، محمد الدامجي، علي بن عامر، محمد مناشو، التارزي النفطي الجريدي، حماد بن الأمين، حسن الشواشي، العربي العكري، عثمان بن منصور، الطيب قرداح، السويح.

ج- شيوخه بتونس خارج جامع الزيتونة: فضلا عن شيوخ الزيتونة إتجه الشيخ التليلي إلى أساتذة آخرين استفادة من دروسهم ومحاضراتهم ومن هؤلاء: الشيخ العربي الكابادي، الشيخ عثمان بن العكاك، حسن حسني عبد الوهاب، الحسن بن شعبان، محمد بن عمار التوزري.

وهكذا همّ الشيخ بعيد تتويجه بالرحيل حيث قال: "تحصلت على شهادة التطويع وكانت نتيجة هذه الشهادة التي تأبّطتها خروجي من حاضرة تونس قاصدا قريتي قمار... وتلك هي حياتي الدراسية في تونس أمليتها عليك دون أن أترك منها وفي كنانتها عودا إلا نثرته أمامك ونشرته بين يديك اللهم إلا توفاه وبتفا حقيرة تركتها تعمدًا لتفاهتها أو سهوا لحقارتها"¹

¹ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 30.

وبعد هذه الرحلة الطويلة استقر الشيخ في موطنه الأصلي ولم يغادر الوطن بعدها إلا لأداء فريضة الحج وذلك سنة 1398هـ الموافق لـ: نوفمبر 1978م¹، بينما كانت له تنقلات قليلة داخل الوطن، لكنه آثر الاعتزال مستشعرا ثقل المسؤولية. وقد وصف حاله قائلاً: "أُبت من الغربية إلى التربة وأقمت بين الأهل مدة الضيافة العلمية في داري وفي عقر بيتي لا أعرف أحدا ولا يعرفني أحد ولا صلة بيني وبين الناس إلا ما كان من سؤال ديني أو درس علمي..."²

ثم صاغها في قالب منظوم قائلاً:³

أنا هنا في عزلتي	وراحة وفي اختبا
مبتعدا عن كل من	لغو الحديث احتقبا
في البعد عن أمثاله	خير اكتساب كسبا
لذا ارتضيت وحدتي	وعزلتي ضمن الخبا
فمن أتاني زائرا	زورة خل مجتبي
أقل له في غبطة	يا مرحبا يا مرحبا
ومن أتاني يبتغي	ثرثرة لا أدبا
مضيعا لوقته بل	قتل وقتي طلبا
أقل له مصرحا	إليك عني هربا
فلست بالشخص الذي	تروم منه طربا
ويعد ذا فاحمل كما	تشاء في الخطبا
فليس ذاك ضائري	ولم يكن لي مرعبا
والشرط ذاك قائم	ولازم قد وجبا
فمن أتى فمرحبا	ومن أبي فقد أبي

¹ الفوائد المنشورة من مطالعاتي المبتورة، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 61.

² هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: (31-32).

³ المصدر نفسه، ص: 89.

وهنا نلاحظ إدراكه العميق لقيمة الوقت وحرصه على حسن استغلاله فيما يفيدته ووطنه من تأليف أو تصنيف أو مراجعة أو تصحيح أو تنقيح أو ذكر أو تأمل...حتى أنه يستنقل زائرته إذا جاءه لمجرد الحديث والثرثرة يريد قتل وقته، لكن الشيخ بحكمته جوابه الصمت في كل ما لا يهّمه ولا يعنيه¹.

ورغم جنوح الشيخ للعزلة إلا أنه منذ اغترابه وهو يفكر في خدمة بلده، إذ كان يقول في نفسه: "سأرجع إلى بلدي فأخدمها وأنشر فيها كل ما تعلمته وتلقيته من ثقافة ودين وشعر وأدب كما خدمها غيري وعمل لها سواي من الشيوخ القدماء والمحدثين، وليس تعليمي إلا وسيلة للنهوض بالبلد، وإنبات النبات الحسن من الشباب الصالح المصلح، وما أنا إلا ابن من أبنائها واجب عليّ ما وجب عليهم"²

وحمل الشيخ هذه الرسالة على عاتقه عازماً على تقديم ما استطاع إليه سبيلاً، وقد كان للعامل الاجتماعي - كما أسلفنا - دوره في خروجه إلى ميدان العمل ومواجهة الحياة خاصة بعد زواجه سنة 1935م، واستلامه رسالة والده.

حيث التحق -بعد عودته من بجاية- بمدرسة النجاح بقمار التابعة لمدارس جمعية العلماء المسلمين، وأشرف على إدارتها رفقة ثلة من العلماء والمدرسين وهم: محمود سعداني وعبد العزيز سعداني والشيخ محمد التركي والصادق الوصيف. وقد تم تأسيس هذه المدرسة من طرف الجمعية المحلية التي عرفت بـ "جمعية الإصلاح" سنة 1939م وشهدت نشاطاً مهماً في أواخر الأربعينات، ومنذ هذا التاريخ والشيخ يتولى إدارتها والتدريس بها إلى غاية 1963م، وقد صرح الشيخ بذلك قائلاً: "وفي يوم 19 أكتوبر 1948م فتحت مدرسة النجاح بقمار أبوابها لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية وكنت أنا المباشر لفتحها وإدارتها والتعليم بها منذ ذلك العهد إلى أن فارقتها سنة 1963م، وقد ثبتت أمام كل الأعاصير ووقفت صامدة رغم كل العراقيل والأباطيل"³ أي على مدار خمسة عشر سنة تقريباً استطاع خلالها أن يخرج خيرة المتعلمين

¹ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته، محمد بن سعد طالبي. ص: 22.

² العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: 11.

³ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 62.

بالجهة، بفضل زاده المعرفي وعطائه العلمي الذي ملأ السمع والبصر، وقد شهد له بذلك الزائرون والسيّاح فضلا عن أبناء المنطقة، يقول سائح تونسي زار جنوب الجزائر سنة 1952م: "... ثم زرنا المدرسة القرآنية التي يديرها المثقف الشيخ الطاهر التليلي المحرز على العالمية من الكلية الزيتونية العامرة، وهو روح المدرسة وعمودها الفقري، جمع إلى إدارتها التدريس بها، وتخريج المثقفين والمثقفات. وطالما راودته المدرسة الحكومية على إعطاء ساعة بالعربية فضلًا مدرسته على مدرستهم..."¹

وقد سارت المدرسة وفق نظام ومنهج تربوي محكم، جمع فيه الشيخ التليلي بين مبادئ الطرق التربوية الحديثة التي تعلمها في جامع الزيتونة والمدارس التونسية، وما رآه من محاسن في الطرق التقليدية، كما اجتهد في تكييف مناهج جمعية العلماء المسلمين وفق الواقع التعليمي في المدرسة وقدرات التلاميذ، وكان يساعدهم في انتقاء مفردات لغوية تعينهم على كتابة الإنشاء والتمارين الكتابية التعبيرية²، وكانت المدرسة عند افتتاحها تدرّس طورين: التحضيري الأول ومواده التعليمية: (القرآن، السيرة النبوية، تعليم الخط، الحساب، المحفوظات، القراءة)، والابتدائي الأول ومواده: (القرآن، التوحيد، الفقه، السيرة النبوية، النحو، الرسم، الجغرافيا، المحفوظات، القراءة، الإملاء، الحساب) وتتطور تشكيلة الطلبة والأفواج في كل موسم إلى غاية 1962م، حيث انضمت المدرسة إلى وزارة التربية في جزائر الاستقلال³. واستطاعت المدرسة أن تحقق طيلة هذه الفترة أهدافا تربوية جمة، حيث غرست قيم الدين الإسلامي في نفوس طلبتها، وجسدتها عمليا بإقامة صلاة المغرب جماعة في المدرسة تحت رعاية الشيخ الطاهر وبقية الأساتذة⁴، وأنشأتهم على مكارم الأخلاق وشريف الطباع، وبعثت فيهم الروح الوطنية والنخوة العربية الأصيلة، وحثتهم على الدراسات النافعة والأعمال المثمرة وأجلّها حفظ كتاب الله ومدارسه، يقول الشيخ:

¹ النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، محمد صالح الجابري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (دط)، الجزائر، 1983، ص: 43.

² زهراء لغوية مقتطفة من كتاب الألفاظ الكتابية للهذاني، محمد الطاهر التليلي. مقدمة المخطوط، ص: 01.

³ العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: (120-121).

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 124.

كتاب الله أفضل ما قرأنا
فقم واحفظ كتاب الله تحظ
وأجدر بالتلاوة من سواه
وتحسب في الألى قطفوا جناه
ففيه الدين والدنيا جميعا
فطوبى للذين به تباهاوا

واستمر الشيخ التليلي مع مدرسة النجاح سنة واحدة بعد الاستقلال، وبعدها انتقل إلى العاصمة مكلفا من طرف وزارة الأوقاف بالتعليم في إحدى المعاهد الإسلامية طيلة سنة 1963م¹؛ ليؤسس بعدها المعهد الإسلامي بالزاوية القادرية بالوادي- باسم الوزارة- ويتولى إدارته والتدريس به في حدود سنة 1964م لمدة سنة فقط². وفي سنة 1965م انتقل الشيخ من وزارة الأوقاف إلى وزارة التربية، حيث كلف بالتعليم في ثانوية بمدينة عنابة³ وفي ذلك يقول الشيخ: "وفي يوم 04 نوفمبر 1965م سافرت إلى عنابة لمباشرة التعليم بثانوية (سان اوغستان) ثم بثانوية مبارك الميلي"⁴. وفي سنة 1967م انتقل إلى مدينة توقرت وعمل بها مدرسا بثانوية الأمير عبد القادر مدة خمس سنوات أي إلى غاية إحالته على المعاش أواخر سنة 1972م⁵.

وبعد حياة طويلة في خدمة العلم والتعليم أثر الشيخ الانعزال والتفرغ واستلم بطاقة التقاعد قبل أوانه وودع المدرسة (ثانوية توقرت) وهو يردد⁶:

ولبس عباءة وتقرّعيني
أحب إليّ من لبس الشفوف

¹ أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد بن البشير العمامرة، وأحمد بن الطاهر منصوري. شركة مزوار، (دظ)، الجزائر، (دت)، ص: 83.

² العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: 118.

³ أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب. ص: 83.

⁴ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 72.

⁵ أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب. ص: 83.

⁶ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 81.

وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إليّ من أكل الرغيف
وأصوات الرّياح بكل فجّ أحب إليّ من نقرالدفوف

ومكث الشيخ في بيته بقية حياته واصفاً حاله بالجمود حيث يقول: "وَحَلَّتْ محلها- يقصد حياة الحركة والعمل- حياة التقاعد وهي حياة القعود والجمود والرقود وحياة الكسل والملل والكلل وحياة الأمراض والأغراض والاعتراض وحياة الاحتقار والانتهاز والاضطرار فحياة هذه صفاتها لا تسمى حياة بل هي الموت الزؤام على طول الدوام"¹ هكذا كان الشيخ يرى نفسه صغيراً حقيراً، لكنه في أعين الناس لا يزال عظيماً كبيراً، إذ لم يتوقف عن التأليف ومطالعة الكتب عند كبر سنه بل ضاعف مجهوداته منذ تقاعده. وقد عقب على ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله قائلاً: "ألف الشيخ محمد الطاهر التليلي مجموعة من الأعمال لا يراها هو شيئاً ذا بال ونراها نحن كثيرة الأهمية... وتعود أهميتها إلى أن الشيخ منذ تقاعد سنة (1972م) كرّس جهده للقرآن الكريم قراءة ودراسة فهو يقضي جل وقته في تكراره واستظهاره والتعبّد به، ومن جهة ثانية يدرسه دراسة تحقيق وتعمق. ويتناول التفاسير والتعليق والأبحاث التي تعالج قضايا القرآن الكريم قديمها وحديثها"²

ولقد اتصف الشيخ بالعلو في الهمة والصدق في القول والإخلاص في العمل والثبات على المبدأ والعقيدة، لا يساوم ولا يزايد في ذلك مهما كلفه الأمر ومهما ناله الأذى، فإنه يصبر ويحتسب ولا يشكو لأحد، وإنما يبث حزنه وألمه إلى الله وحده³. وكلما ضاقت نفسه وألمت به المحن والشدائد لجأ إلى القرطاس والقلم يودعهما أشجاناً وأحزاناً، فحين اجتمعت عليه ثلاث مكائد وهي الحكومة وتخويفاتها - أي الحكام المحليين - وأوباش البلدة وافتراءاتها، وضعفاء العقول من أهل الصلاح وتخاذلهم فيما بينهم أنشد قائلاً:⁴

¹ المصدر نفسه. ص: 87.

² بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. تقديم الدكتور أبو القاسم سعد الله، ص: (09-10-11).

³ الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته، محمد بن سعد طالبي. ص: 21.

⁴ العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: 18.

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثن وثالث

عاش - رحمه الله - ورعا تقيا، زاهدا حيا، وقورا ربانيا، قرانيا، ناشرا للعلم باذلا للنصح، داعيا للخير؛ خير الفرد والمجتمع والوطن¹. وكان كريما جوادا رغم أنه ليس ذا مال إلا أنه لا يبخل بمقال، يعترف بالجميل ويرد بما يراه مثيلا، فحين أهداه الدكتور أبو القاسم سعد الله كتابه الموسوم بـ "تاريخ الجزائر الثقافي" بجزأيه أشاد بفضله وكتب على ظهر الجزء الأول منه:²

إذا ما شئت تثقيفا
فأسفار أبي القا
وأخبارا ترضيك
سم سعد الله تُغنيك

وبصم الجزء الثاني منه بقوله:³

تصفحت هذا السفر طالب نفعه
تضمنت تاريخا وآداب أمة
فألفيته في النفع مثل شقيقه
تقصت لنيل المجد خير طريقه

وقد استفاد الدكتور أبو القاسم في هذا السفر من أقوال الشيخ وكتاباته⁴، حيث كان كثير التردد عليه وهو في عزلة بيته، إذ يصف لنا حاله قائلا: "وكنت كلما زرته وجدته في خلوة بنظارته العتيقة التي لم يغيرها منذ سنوات، يفترش بساطا عاديا وحوله بعض الكتب والكراريس المتناثرة وأدوات الكتابة من أقلام قصبية وأخرى رصاصية أوجافة ومحبرة من السمق، وليس هناك منضدة ولا كرسي، ولا أدوات الكتابة من راقنة وحاسبة وأوراق صقيلة وأقلام سيالة. فالشيخ لا يكتب إلا جالسا على البساط أو الرمل، ولا يسوّد إلا في زمام من النوع القديم، ولا يكاد يحبر إلا بقلم القصب وحبر السمق..."⁵

¹ المرجع نفسه، ص: 22.

² المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 19.

³ المصدر نفسه، ص: 19.

⁴ ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، ط: 1، لبنان، 1998، ج: (2-5-8).

⁵ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. تقديم الدكتور أبو القاسم سعد الله، ص: 06.

وبقي الشيخ على حاله بذاكرته القوية وذكائه الحاد وعقله الراجح رغم تقدم السن به، يستعيد النوادر والحكم والأشعار وكأنه حفظها لتوّه، ويتضح ذلك جليا حين نتصفح مؤلفاته خاصة: المسائل القرآنية، الدموع السوداء... إلى أن دعاه داعي المنون للقاء ربه بعد أن اعتلت صحته في سنواته الأخيرة، فأقعدته المرض وألزمه الفراش، ففاضت روحه الطيبة مساء ليلة الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان المعظم عام 1424هـ الموافق للثاني عشر من نوفمبر 2003م تغمده الله بواسع رحمته وألحقه بمواكب أسلافه من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا¹. وقد ترك -الشيخ- عددا من التلاميذ هم اليوم عدّة الجزائر في مختلف المجالات، كما ترك ولدين وخمس بنات².

هكذا فارق الشيخ الحياة عن عمر ناهز ثلاثة وتسعين سنة، قضى منها أكثر من ستين سنة في التعليم والتأليف وإجابة السائلين عن مسائل الفقه واللغة والتواريخ المحلية والقضايا الاجتماعية التي تطرأ على الناس في بيئة صحراوية نائية³، كانت عش البدع والضلالات ووكر الطريقة الضالة المضلة⁴. لكن الشيخ - رحمه الله - استطاع أن يصمد أمام كل الفرق والجماعات دون انحياز أو تعصب لأي منها، ملتزما بما يغنيه عنها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وللشيخ مقتطفات عديدة تثبت خلوص عقيدته من جميع الشوائب، فهو القائل: "وأما أنا فالذي يهمني والذي أعتقده وأرجو أن ألقى الله به وأن يرضاه مني وأن يثبتني عليه هو إخلاص في اعتقادي أن الدين عند الله الإسلام وأن من يتبع غير الإسلام دينا فلا يقبل منه، وأن الله أكمل لنا ديننا، وأتم نعمته علينا بهذا الدين يوم هدانا إليه ورضيه لنا دينا، وأن أصول هذا الدين وقواعده وأمهات مسائله وكل ما يحتاجه المسلم من أمور الدنيا والآخرة كلها مستوعبة بوضوح وبيان في كتاب الإسلام ودستوره العظيم ألا وهو القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

¹ العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص: 22.

² الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. ص: 63.

³ المرجع نفسه، ص: 62.

⁴ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 14.

حميد"¹، لذا كان شعاره التوحيد ورائده الإصلاح وقد أعرب عن ذلك عند عودته من تونس حيث قال²:

شيخ من الجامع الزيتوني قد خرجا بالعالمية في أقرانه درجا
أتى إلى قومه بالعلم ينصحهم يدعو إلى الله بالتوحيد منتها
فقال يا قوم إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تبتغوا عوجا
لا تشركوا أحدا في شأنه أبدا فالله لا يغفر الإشراف إن ولجا

كما كان الشيخ دائم التأمل كثير التدبر، يطيل التضرع بين يدي مولاه، ويفكر في الموت وكيف يلقاه، وكلما انتابه المرض، أو شعر بدنو الأجل، جهر بما تكنه نفسه، من ذلك ما قاله عند مرضه سنة 1356هـ:³

أموت على الإسلام دين محمد عليه سلام دام من مالك الملك
أموت وما في القلب مثقال ذرة من الشرك أو ما قد يؤول إلى الشرك
وأعلم أنني لا محالة صائر مصير أناس للفناء ولللك
وأوقن أن الله سوف يعيدني وتعرض أعمالي عليّ بلا شك
وسوف أوفى يوم عرض صحائف صنيعي من فعل فعلت ومن ترك
ورحمة ربّي إن تعمّدي بها نجوت وإلا فالمصير إلى الهلك

هكذا كان شيخنا الجليل يعدّ العدة قبل الرحيل مجتهدا في التحصيل والتوصيل جيلا بعد جيل لبلوغ سواء السبيل. وما كان ليبلغ هذا المستوى إلا بما حباه الله به من ثقافة وسعة اطلاع، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "... غير أن هناك ميدانين قل من يبرز فيهما وهما المعرفة الدينية والمعرفة الأدبية، فهو عارف بالتفاسير، ومعاني القرآن الكريم، وأصول الفقه وفروعه والمذاهب الإسلامية وعلم الكلام والحديث الشريف ومعرفته هذه ليست معرفة نقلية تقوم على الحفظ والذاكرة كما كان حال علماء عصر التخلف، ولكنها معرفة عقلية أيضا. ذلك أن الشيخ لا يقلد في أمور كثيرة وهو يظهر

¹ الهيئة المرعية في الأذكار الشرعية، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: (60-61).

² الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج: 2، ص: 37.

³ هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي. ص: 89، والدموع السوداء، ج: 1، ص: (99 - 100).

من الاستقلال الفكري ما قد يوصله إلى درجة المجتهدين¹ ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

ولقد تعدى الشيخ التليلي مجال العلوم الدينية متطلعا إلى غيرها من العلوم الدنيوية، حتى عدّ ظاهرة فريدة في الجمع بين المعارف والعلوم والفنون² فلم يترك بابا من أبواب العلوم إلا وطرقه، ولعل العلم الوحيد الذي كان ينفر من الخوض فيه هو "السياسة" بالمعنى الذي صار إليه في العهد الاستعماري، لا بالمعنى الحضاري، فقد اکتوى بنار السياسة أثناء الحكم الفرنسي وممثليه.³

وقد شهد بموسوعيته من عاصروه وعرفوه، حتى قيل أنه: "لو عاش في عصر بعيد عنا، عصر ازدهار الحضارة العباسية أو الأندلسية لكان ربما من كبار الموسوعيين الذين لا يشق لهم غبار..."⁴

أما الأستاذ محمد التجاني زغودة - رحمه الله - الذي كان الأكثر ملازمة للشيخ في حياته، حين طُلب منه تقديم كلمة يعرف بها الشيخ قال: "فقد أريد لي أن ألقى كلمة عن شيخ الجماعة شيخ الشيوخ وطود الرسوخ العلامة الموسوعي فقيدنا وفقيد التدقيق والتحقيق الشيخ محمد الطاهر التليلي تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته"⁵

¹ فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر التليلي (1910-2003)، أبو القاسم سعد الله. جريدة الشروق، الجزائر، ع:950، (2003/12/16)، ص:15، وينظر: أفكار جامحة، أبو القاسم سعد الله. المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، (دت)، ص:204.

² العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، محمد الطاهر التليلي. تقديم أبو القاسم سعد الله، ص:02.

³ المرجع نفسه، ص:02.

⁴ شهادة لها وزنها عبر التاريخ فقد أقرّ بها - رجل التاريخ في الجزائر - الدكتور أبو القاسم سعد الله، وما كان له أن يدلي بها إلا عن دراية بأحوال الشيخ وأعماله من جهة، ومعرفة واسعة بتاريخ مشاهير الأعلام من جهة ثانية. ينظر: بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. تقديم أبو القاسم سعد الله، ص:01.

⁵ العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. ص:07.

ومن محبي الشيخ الأوفياء أيضا الشاعر الجزائري "أحمد الطيب معاش" الذي حرَّ في نفسه فراق الشيخ وآلمه كثيرا فرثاه وأشاد بفضائله في قصيدة بعنوان: "وداع ورثاء النضو العليل للعلامة محمد الطاهر التليلي" نذكر منها قوله¹:

ولم أنصفه حتى بالقليل	لقد قصرت في حق التليلي
وبيني منذ سافر جل جيلي	وقد ألغيت عقدا بين شعري
وأشياخي مديحي أو عويلي	وكنت نذرت إهدائي رفاقي
وجامع كل أوصاف الجليل	وغادرنا المحاضر والمربي
ولم أرسل من المنفى رسولي	فلم أسمع بخطب أو مصاب
بعلم أو حديث أو أصول	ف(طاهر) واد سوف كان فذاً

إلى أن يقول:

وجنح طائري واهتاج غولي	وعذرا يا إمامي تاه مهري
ك(سعد) أو سعيد أو خليل	وعفوا يا مربي بعض جيلي
وأيامي البطيئة مثل ليلي	فلا تعتب عليّ فسوء حالي
فترحالي غدا كالمستحيل	وسامحني على مر التناي
وأحلامي كنجمي في أفول	وأسقامي تكبلني بركني

وكل من لم يسعفه الحظ بمعرفة الشيخ محمد الطاهر التليلي في حياته، سيكون شغوفاً بمعرفته من خلال مؤلفاته، إن كتب الله لها البقاء واستطاعت أن تخرج من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات، ومن ظلمات الخزانة إلى أنوار المكتبات.

4. آثار الشيخ محمد الطاهر التليلي:

¹ القصيدة ألقاها الشاعر الجزائري أحمد الطيب معاش في تأبين الشيخ التليلي عند انعقاد الندوة الفكرية الرابعة: العلامة عبد القادر الياجوري يومي: 26/27 ديسمبر 2004 والتي خصصت لدراسة سيرة وفكر وآثار الشيخ محمد الطاهر التليلي في مناسبة الذكرى الأولى لوفاته.

أولاً: جهود الشيخ في علوم القرآن: لقد اطلع الشيخ على كم هائل من الكتب الدينية (القرآن، التفاسير، الفقه وأصوله...) مما شكل لديه ثروة إسلامية هامة، وأثار في ذهنه إشكالات عديدة، جعلته يسعى بحثاً عن إيجاب شافية لها، خاصة أنه تميز بحب الاطلاع واكتشاف المجهول، حيث قال رحمه الله: "وبعد فإن الله ابتلاني بحب الاطلاع والمطالعة واكتشاف المجهول والجري وراءه والتنقيب عنه"¹.

وقد أثمر بحثه في كثير من الأحيان أفكاراً جمة صاغها الشيخ ببراعته اللغوية في مؤلفاته المنظومة والمنثورة، إلا أن جل أعماله لم ير النور بعد، إلا واحداً منها تولى أمره الدكتور أبو القاسم سعد الله، وقدم له وأخرجه تحت عنوان: بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، وقال عنه: "وقد كاد هذا العمل أيضاً أن يبقى حبيساً لولا حيلة استعملناها معه نرجوا أن يبررها قصدنا النبيل، وهو إفادة القراء وإشاعة المعرفة بين الناس"² وهذا الكتاب عبارة عن ثلاث منظومات في مسائل قرآنية مختلفة وهي المدخل في غريب القرآن، حجر المخلاة في مجالس المحاجاة، تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من مواد.

وسنتناول فيما يلي هذا المؤلف بشيء من التفصيل، ثم نعرض على باقي المخطوطات الأخرى المتعلقة بعلوم القرآن ومسائله.

1) بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن:

• **المدخل في غريب القرآن:** وهو نظم خاص بذكر بعض المفردات الغريبة في القرآن، يشتمل على 455 بيتاً من الرجز، جمعها الشيخ دون أن يلتفت إلى كيفية الكلمة من صيغة أو وزن أو تشكيل، بل المقصود وجودها في القرآن مرة واحدة على أي حالة كانت³. أما عن سبب تأليفها فقد قال الشيخ: "والسبب في هذا العزم هو أننا شرعنا منذ

¹ الدرر الملكية في الدراري الفلكية، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 01.

² أفكار جامعة، أبو القاسم سعد الله. ص: 205.

³ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. ص: 15.

سنة كاملة بمعينة جماعة من القراء والطلبة الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب في مذاكرة الآيات الخاصة والكلمات الشاذة والحروف النادرة، وإلقاء كل واحد منا ما عنده من ذلك، بين يدي الجماعة على طريقة المعاينة والمحاكاة قصد الإفادة أو الاستفادة من تلك المطارحات القرآنية¹

وقد حدد الشيخ هدف منظومته والمصدر الذي استند إليه في جمع مادتها وتبويبها في مقدمتها حيث قال:²

وبعد فالقصد في النظام نظم غريب معجم الكلام
من كلمات وردت في الذكر مفردة غريبة في الذكر

وقد اعتمد الشيخ في جمع مادته وتبويبها على "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم " وصرح بذلك في مقدمته أيضا:³

ومرجعي في هذه الأمنية لمعجم الألفاظ القرآنية
مؤلف ألفه شيخ جليل يدعونه الشيخ محمد اسماعيل
جزاه ربي بالذي قد صنعه مغفرة ورحمة موسعة
تبعت هذا الأصل في الترتيب والنقل والحساب والتبويب
فيما يخص المفرد الوجداني من فاقد التكرار في القرآن

● حَجَرُ المِخْلَافَةِ فِي مَجَالِسِ المِحَاجَاةِ: وهو نظم مسائل تتعلق بضبط القرآن ورسمه كثيرا ما تطرح بين القراء والطلبة للمذاكرة، ويشتمل هذا النظم على 1307 بيتا، جمع فيها الشيخ ما قد يشكل على الطالب المبتدئ ويغفل عنه القارئ المنتهي⁴، وقد أعرب الشيخ عن هدف المنظومة قائلا:⁵

¹ المصدر نفسه، ص: 15.

² المصدر نفسه، ص: 17.

³ المصدر نفسه، ص: (17-18).

⁴ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. ص: 49.

⁵ المصدر نفسه، ص: 51.

وبعد فالمقصود نظم ما انتثر
 كعدّ آي أو شذوذ أحرف
 في مجلس القرآن من آي السور
 في رسمها أو ذكر نوع يفتني
 مسائل منقولة مجموعة
 من أكثر القراء أو مسموعة
 يعرفها الطلاب بالرواية
 كما أتت عن ورشهم رواية
 قد طرحت في مجلس الأحاجي
 على بساط البحث والحجاج
 تذكرة قد ذكرت ودربة
 وسنة محمودة وقربة

ويعود الفضل في نظمها إلى مجالس المحاجاة التي كان يقدمها الشيخ عمار بن أحمد العمري، فيما يشبه النظم ويطلب من الشيخ محمد الطاهر التليلي تصحيحها، فيستجيب له دون تردد ويؤكد ذلك قوله: "وفي أثناء ذلك بدا لي أن أنظم منظومة في المسائل التي دارت في مجالسنا القرآنية مشتملة على الأبيات التي صححتها للشيخ وعلى غيرها مما استفدته من غيره من الطلبة والحفاظ ومما أخذته من كتب هذا الفن العزيز فنظمت ذلك كله في سلك هذه المنظومة وسميتها حجر المخلاة"¹.

وتجدر الإشارة إلى أن ترتيب مواد هذه المنظومة لم يكن على حسب حروف المعجم كسابقها في غريب القرآن، وإنما رتبها بحسب عدد ورودها في القرآن مبتدئا بما وجد منه واحد ثم ما وجد منه اثنان وهكذا إلى ما وجد منه ثلاثة وعشرون، ثم ذكر ما وجد منه أكثر من ذلك.

• **تلخيص الأرقام والأعداد لما في القرآن من مواد:** وهو نظم لكلمات أو أعلام وردت في القرآن الكريم، يشتمل على 590 بيتا، لجأ فيها الشيخ إلى تلخيص هذه المواد معتمدا على طريقة المغاربة في حساب الجمل* يقول الشيخ: "واخترت أن يكون النظم بالحروف الأبجدية بحسب ما لكل حرف من قيمة حسابية بحساب الجمل المعروف على طريقة المغاربة وذلك للاختصار وعدم التطويل ولبساطة هذا المسلك وسهولته عند من له إلمام بحساب الجمل"². فبعد أن نظم مدخل الغريب وحجر المخلاة استنادا

¹ المصدر نفسه، ص: 50.

* تعتمد هذه الطريقة على إعطاء قيمة عددية لكل حرف من الحروف الأبجدية كما يلي: أ [1]، ب [2]، ج [3]، د [4]، هـ [5]، و [6]، ز [7]، ح [8]، ط [9]، ي [10]، ك [20]، ل [30]، م [40]، ن [50]، ص [60]، ع [70]،

إلى قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية أدرك أن هذا المعجم مفيد جدا في موضوعه فاستخار الله أن ييسر له نظم ما أثبتته فيه من أرقام المواد الموجودة في القرآن¹. ويسر الله له ذلك فأنتهى من تبييضه في 05 ذي الحجة 1403هـ.

(2) منظومة قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن على رواية ورش عن نافع: وهي منظومة من 435 بيتا، ضبط فيها الشيخ رسم الألف في القرآن حذفًا وإثباتًا، بغية تيسيرها على طلاب العلم، كما تفيد قارئ القرآن والمنتبع لرسمه في ضبط الألف على رواية ورش - رحمه الله - وقد وضح مقصده من ذلك قائلا:²

والقصد من ذا كله التيسير على الطلاب سيّما الصغير

وفي موضع آخر يقول:³

قد سهّلت من العويص الأكثرا على الذي قد اعتنى وحرّرا
فاشدد عليها باليمين تحظ وامدد إليها من ذكائك حفظا

وقد دون الشيخ منظومته من غير مقدمة تمهّد لها وتوضح سبب تأليفها، فقام مؤخرا الأستاذ محمد بن سعد طالبي باستدراك ذلك على الشيخ، وصاغ لها مدخلا من ستة وستين بيتا تخدم موضوعها، بعد أن خصّها بالدراسة والتعليق في رسالته الموسومة بـ "الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن" وقد جاءت المنظومة على سبعة فصول كما يلي:

- افتتحها بحمد الله والثناء عليه وثنى بالصلاة على المصطفى ﷺ، ثم عرّف بموضوع المنظومة وأهم مصادرها.

ف[80]، ض[90]، ق[100]، ر[200]، س[300]، ت[400]، ث[500]، خ[600]، ذ[700]، ظ[800]، غ[900]، ش[1000].

² بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. مقدمة المنظومة، ص: 134.

¹ المصدر نفسه، ص: 133.

² منظومة قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، البيت رقم: 17.

³ المصدر نفسه، البيتان: (21-22).

- فصل في بعض قواعد الثابت.
- فصل في بعض الكليات العامة التي لا استثناء فيها من قسم الثابت.
- فصل في بعض الكليات العامة مع استثناء بعض الجزئيات من قسم الثابت.
- فصل في بعض قواعد المحذوف.
- فصل في كليات عامة لا استثناء فيها من قسم المحذوف.
- فصل في كليات عامة مع استثناء بعض الجزئيات من قسم المحذوف.

(3) **التعليقات البيانية على منظومات مسائل قرآنية¹**: وهي تعليقات كتبها الشيخ تعقيباً على المنظومات الثلاث في المسائل القرآنية لتوضيح الغموض أو فك الرموز خاصة ما تعلق منها بحساب الجمل، وتصويب ما استدركه من خطأ.

(4) **رسالة رسم الألف في القرآن الكريم²**: وهي رسالة منثورة لا منظومة تشتمل على كيفية رسم الألف في القرآن الكريم وضبطه حسب رواية ورش - رحمه الله - وهي رسالة رائعة جمع فيها الشيخ مختلف حالات رسم الهمزة (الألف) مع التمثيل، قدّمها الشيخ لطلبته حين ألحّ عليه أحدهم بتوضيح ذلك، وختمها ببعض الفوائد الأخرى منها تعريفات لبعض مصطلحات هذا العلم كالإمالة والإدغام والإخفاء ...

(5) **قواعد وكليات في الثابت والمحذوف في القرآن**: هذه الرسالة أيضاً منثورة وليست منظومة، وتدرج ضمن علم رسم القرآن، عالج فيها الشيخ مسألة الثابت والمحذوف متبّعاً أهل هذا العلم الذين "ذكروا أن الحرف الثابت هو المكتوب في السطر والموجود في وسط الخط، وأن الحرف المحذوف هو ما لم يوجد في الخط، ولا في السطر أصلاً، أو الذي وجد فوق السطر كالألف في مثل: العلمين الرحمن، ثم ذكروا أن الزيادة والحذف لا يكونان أو لا يكثر دورانهما في الكلام، وأعني به في المصاحف إلا بالنسبة للألف والواو والياء في أكثر الحالات"³، وكان هدفه من هذا المؤلف أن يوضح

¹ التعليقات البيانية على منظومات مسائل بيانية، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، (132 صفحة).

² رسالة رسم الألف في القرآن الكريم، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، (60 صفحة).

³ قواعد وكليات في الثابت والمحذوف في القرآن، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ص: 06.

لصغار الطلاب مواضع الحذف والإثبات في الرسم القرآني خاصة وأن أكثرهم تلقوا القرآن مشافهة عن مؤدبيهم.

وللشيخ عدة مقتطفات أخرى مخطوطة في علوم القرآن ومسائله، يذكر أنه أخذها من كتاب تاريخ القرآن الكريم للشيخ محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي ومن غيره من الكتب التي تتعلق بالقرآن ورسمه وما يتصل بذلك من الفوائد القرآنية¹ وقد تناول فيها: "رسم القرآن في المصحف العثماني، جمع القرآن، حفظة القرآن على عهد رسول الله، ترتيب الآيات والسور، نزول القرآن على سبعة أحرف، وجوب إتباع رسم المصاحف العثمانية، هل القراءات ناتجة عن رسم المصحف، تشكيل المصحف*، عد كلمات القرآن وآياته وسوره، أجزاء القرآن، ذكر بعض الاعتراضات التي قد ترد على القراءات، القراءات المتواترة هل هي بالحد أو بالعد...".

ثانياً: جهود الشيخ اللغوية والأدبية: إلى جانب ما خطّه الشيخ في علوم القرآن ومسائله نجد له مجموعة من المؤلفات والأشعار والتقايد ذات الصلة باللغة والأدب أهمها:

أ- **الدموع السوداء:** وهو ديوان شعر متعدد الأغراض يعد أضخم آثار الشيخ إذ يشتمل على 277 صفحة مقسم إلى جزئين، وهو جدير بالدراسة والنقد، رسم فيه الشيخ صورة موسعة لحياته وكتب على غلافه - تحت العنوان - ما يلي:

إن كنت تطلب مني علما بتاريخ حالي
وسيرتي في حياتي وبين قومي وآلي
فاقرأ ديواني هذا ففيه ظل خيالي

¹ مقدمة المخطوط، ص: 1. (هذا المخطوط لا يحمل عنواناً واضحاً ويفتقر إلى الصفحة الخارجية [الغلاف])
* وفيه يقول الشيخ: "أول من شكل المصحف هو أبو الأسود الدؤلي، وكان الشكل نقطاً وليس حركات بمداد مخالف لمداد الحروف، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف والضممة نقطة بين يدي الحرف أي أمامه وترك السكون بلا علامة، والذي سَوَّغ لأبي الأسود الدؤلي ذلك هو عدم الإعجام أي التنقيط للحروف ويقرأ الناس حينذاك اعتماداً على السليقة وحسب الفطرة فلا يحتاجون إلى علامات التمييز... ثم أخذ الناس عنه ذلك، ثم أبدلو نقط أبي الأسود بالحركات وجعلوا التنقيط خاصاً بتبيين المتشابه من الحروف مثل: ب ت ث ومثل ج ح خ... والذي جعل هذا التنقيط هو نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني"

وقد اشتمل القسم الأول منه على القصائد والمقطوعات مرتبة ترتيباً هجائياً بدءاً بالهمزة وانتهاءً بالياء، وتميز هذا القسم بتعرضه لأغلب أبواب الشعر من فخر وشكر وسلوى وعزاء، ورتاء، وإطراء، وهجاء وغيرها من الأبواب.¹ فهو مرآة عاكسة لحياته رسم فيه زوايا مظلمة للنفس البشرية باعتبارها ساعات من العمر عابرة، فتراه يقص تجاربه المرة بصدق، فيبعد القارئ عن همومه ليتجه نحو همومه هو.²

ب- التوجيهات التربوية في القصائد والمقطوعات المدرسية: ويمثل الجزء الثاني من ديوان الدموع السوداء ويتكون من 91 قصيدة كلها في الإتجاه التربوي والمدرسي موجهة للأطفال³ "تربية لهم على كريم الأخلاق وشريف الطباع، وتوجيهها لهم إلى التدين بالدين الإسلامي الحنيف والتشبث بوطنهم العربي الشريف وتنشيطا لهم على الأعمال المثمرة..."، والمتصفح لديوانه يلحظ بروز هذا الإتجاه المدرسي من خلال عناوين القصائد والمقطوعات مثل "افتتاح الدروس، مراجعة الدروس، أين واجبكم، يوم الإمتحان، فوائد المطالعة..."⁴

ج- زهرات لغوية في كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمداني: وهو دفتر من 37 صفحة وصفه أبو القاسم سعد الله بأنه "عبارة عن اختصار أو مختار من كتاب الهمداني الهدف منه تعليمي وهو تربية الناشئة على حب الأدب الجميل والذوق السليم وخدمة التراث العربي رغم العراقيل التي كانت الإدارة الفرنسية تضعها في وجه اللغة العربية"⁵

¹ الظواهر المعنوية والفنية في ديوان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر التليلي، فضيلة بوجلخة. رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009، ص: 50.

² الشيخ التليلي نموذج المثقف العربي المنشود (مقال)، محمد بوكحيل: www.moheet.com

³ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. مخطوط، ج: 2، ص: 01.

⁴ دور المدارس العربية الحرة، العيد جلولي. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع: 04، 2005، ص: 266.

⁵ الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. ص: 62.

د- قصة الشيخ العجوز: وهي قصة خيالية شعرية هزلية هادفة، يعظ فيها الفتيات ويشيد بفضل التدين، يقول في مطلعها:

إن التدين حلية أجمل بها عند الفتاة
فتدين دين محمد دين التمدن والحياة

كما ألقى الشيخ في هذه المنظومة نظرتة للحياة وموقفه منها بعد طول تفكير وتدبر فقال:

أعملت فكري في الدنيا تفكيراً فوجدتها الدار الخراب أخيراً
ونظرت في أبنائها وبناتها فوجدتهم عند المراس صقوراً

ه- مجموع الأمثال العامية في سوف: وهو دفتر يضم 35 صفحة جمع فيه الشيخ عدداً من الأمثال الشعبية الشائعة بوادي سوف ورتبها على حروف الهجاء.

و- معجم الكلمات العامية الدارجة في الصحراء الجزائرية: وقد أحصى الشيخ كلماته التي شرحها في هذا الدفتر فوجدها 5038 كلمة، ورتبها على حروف الهجاء، إلا أنه يبدو عملاً غير مكتمل فقد ترك قوائم الكلمات مفتوحة في كثير من الصفحات لتكون قابلة للزيادة، كما جعل الصفحة الأولى بيضاء ليستغلها في كتابة المقدمة¹.

ز- تلخيص كتاب الأضداد للتوزي: وهو اختصار من 36 صفحة، فيه فقرات منتقاة من هذا الكتاب، ذكر في بدايته قائمة لأشهر من ألفوا في الأضداد اللغوية، وذيله بملحق ذكر فيه "أبيات الشواهد".

ح- شواهد الكلمات العامية من اللغة العربية الفصحى: وقد أطلق عليه أيضاً اسم "القول الفصل في رد العامي إلى الأصل" ويتجاوز هذا الدفتر مائة صفحة سعى فيه الشيخ إلى إرجاع حوالي 1500 كلمة من عامية سوف ونواحيها إلى أصلها اللغوي

¹ الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. ص: (65-66).

الفصيح مستدلاً على ذلك بشواهد من أمهات الكتب التراثية كالعقد الفريد والكمال للمبرد...¹

ثالثاً: مؤلفات أخرى في أغراض شتى: ذكرت فيما سبق أن طموح الشيخ التليلي يتجاوز المعارف الدينية والأدبية، ليتطلع إلى باقي المعارف العلمية من فلك وحساب وكيمياء وفيزياء وموسيقى وغيرها، وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله: "وإذا كنا نسمع ونقرأ أن بعض العلماء القدماء قد ألف موسوعات بلغت المجلدات الضخمة فظننا أن الشيخ التليلي كان في مقدوره أن يتفوق على بعضهم فيما أنجزوا من أعمال، مع ابتكار وتجديد لو توفر له ما توفر لهم من مكنتات وجوائز ومناظرات ومجالس أدبية وعلمية"². وقد وفقه الله إلى تحقيق شيء من ذلك فكانت له مؤلفات عديدة سأقتصر هنا على ذكر عناوينها:

- سلوة المهموم والمحتار في قراءة هذه الأشعار من مختلف الأقطار والأعصار.
- تجريد كتاب الحجة من كل دليل وحجة وبهامشه التعليق المفيد في تخريج قراءة ورش.
- سلم الوصول إلى ورقات الأصول.
- نظم متن الاستعارات للسمرقندي.
- المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة.

¹ المرجع نفسه، ص: 67.

² العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، مجموعة من المختصين. تقديم أبو القاسم سعد الله، ص: 02.

* تحتوي الرسالة على وفيات بعض الأعيان جزء منها خاص بأهل بلدة قمار.
** أصل هذه الرسالة مجموعة من الرموز الواقعة في بعض العلوم جمعها الشيخ لحصر المسائل الواسعة وتيسير حفظها واستظهارها.

- الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة.
- المسائل الفقهية (مجموعة فتاوى).
- رسالة النماذج الهامة لأمتلة المطابقة العامة*.
- رسالة الرموز**.
- تجريد شعر مقامات الحريري.
- الدرّة المعارة لقرّاء الاستعارة.
- رسالة الدرر الملكية في الدراري الفلكية.
- إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري.
- حديث المسامر في صروف ابن عامر.
- الهيئة المرعية في الأذكار الشرعية.
- نظم متن الورقات في الأصول للجويني.
- مجموع تاريخ سوف منذ القديم.
- كشكول تاريخي أدبي عن سوف والصحراء عموماً.
- هذه حياتي.

ويبقى الشيخ محمد الطاهر التليلي "نموذجاً للمثقف العربي المنشود"¹، وأسطورة متميّزة في الجمع بين المعارف، وإليك أيها القارئ خلاصة حياته وصفاته ومؤلفاته على لسان محمد بوكحيل قائلاً: "شخصية صقلها الإصلاح في بيت جمعية العلماء الجزائريين، ونقاها من شوائب التقليد، وخلّصها من براثن التبعية، جعلته يهتم بالتأليف في المجالات الدينية والتاريخية والفلكية، ويكثّف جهوده في المجال اللغوي والأدبي... فهو فقيه ومفسر ومحدث، عارف لدقائق معاني الآيات وأسرار الأحاديث، أديب لا تخفى عنه شاردة لغوية ولا نادرة شعرية، وهو مجدد عند المحافظين، ومحافظ عند المجددين، مكنته تجربته من تكوين نشء متمسك بأصالته شغوف بمسايرة التطورات التكنولوجية ومسايرة مجتمعات المعرفة..."².

¹ الشيخ التليلي نموذج المثقف العربي المنشود (مقال)، محمد بوكحيل: www.moheet.com

² ينظر: المقال السابق.

كان هذا ما تمكنت من الوصول إليه حول شخصية هذا العالم الفذ وآثاره الجمّة، التي عانت الكثير ولا تزال¹. رغم أنني بذلت ما في وسعي للإلمام بها والاطلاع عليها وجمع أشتاتها من هنا وهناك.

¹ أخبرتني ابنة الشيخ التي تعزى إليها كتابة أغلب مؤلفات والدها أنه حين أرسل مخطوطاته إلى مكتبة جامعة قسنطينة قصد تحبيسها هناك، صادفت حادث مرور أتلّف منها الكثير. (لقاء لي مع ابنة الشيخ وزوجته في بيته - رحمه الله - وذلك بتاريخ: 2009/03/17 مساء).

يسعى البحث في هذا الفصل إلى تتبع الآثار النحوية التي خلفها الشيخ محمد الطاهر التليلي - رحمه الله - سواء كان ذلك بشكل مباشر في صورة منظومات نحوية، أو تعلق الأمر بالمصطلحات النحوية المتناثرة في طيات مؤلفاته المختلفة. ومن خلال ذلك يتم التعرف على مدى توظيف الشيخ التليلي للمصطلح النحوي، ثم نستبين منهجه في ذلك وموقفه من مصطلحات البصريين والكوفيين على السواء، مع حرصنا على الوقوف عند المصطلحات التي نزع أنه انفرد بها ومحاولة استكناه مدلولاتها.

المباحث النحوية عند الشيخ محمد الطاهر التليلي

حاول الشيخ التليلي في مواضع عديدة استدراك بعض المباحث والمسائل التي غفل عنها أصحاب المنظومات النحوية - وعلى رأسها ألفية بن مالك - أو أهملوا جمعها وتبويبها، فلجأ بناء على ذلك إلى نظم مقتطفات نحوية تعد تكملة للمنظومات السابقة، وفيما يلي نماذج من ذلك:

1. نظم أنواع الإعراب الثلاثة الظاهر والمحلي والتقديرى:¹

إعرابهم بحسب الظهور	وحسب الخفاء في المشهور
ثلاثة مفهومة في الحلّ	مقدّر و ظاهر محلي
فظاهر إن ظهرت علامة	على الأخير منه كالسّلامة
في نحو قاض والفتى و يأتي	ونحو يدعو ويرى أمّهاتي
مقدّر وفتحة قد ظهرت	في الياء أوفي الواو مهما عبرت
ومانع في ألف تعدّر	وثقل في غيرها مشتهر
وما أضيف لضمير النفس	فمانع الظهور فيه حسي
تشاغل بكسرة المناسبه	كمثل عمي جاء للمحاسبه

¹ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج:2، ص:47.

والثالث المحلّي في المبنيّ
من معرب الأسماء والفعلّي
وفي التي من جمل لها محل
كجملة الحال وجملة البدل

قصد الشيخ التليلي بأنواع الإعراب في هذه المنظومة ما أطلق عليه مصطفى الغلايني أقسام الإعراب، من إعراب لفظي وإعراب تقديري وإعراب محلي وإعراب محكي¹، لأن أنواع الإعراب تكون بحسب علاماته المقابلة لعلامات البناء، فإذا كانت أنواع البناء أربعة وهي: السكون والضم والفتح والكسر، فإن أنواع الإعراب هي الجزم والرفع والنصب والجر، وإنما وضّح الشيخ ما ذهب إليه بقوله: "بحسب الظهور وحسب الخفاء" أي: بحسب ظهور علامات الإعراب واختفائها، فجعله ثلاثة أنواع: ظاهر ومقدّر ومحليّ.

1-1 الإعراب الظاهر: ويقصد به الإعراب اللفظي وهو ما تظهر فيه العلامات الإعرابية على آخر اللفظ كالسلامة، ويشمل هذا القسم الإعراب بالحركات أي ما كانت علاماته الأصلية ظاهرة. والإعراب النيابي وهو ما تعذر فيه ظهور العلامات الأصلية، فتتوب عنها علامات أخرى فرعية قد تكون حروفاً أو حركات أخرى مناسبة.

2-1 الإعراب المقدر: أو الإعراب التقديري، وهو أثر غير ظاهر يجلبه العامل حين لا تظهر الحركة الإعرابية على الحرف الأخير من اللفظ المعرب لكونه حرف علة، حيث تقدر الحركة في آخر اللفظ.² نحو: قاض، الفتى، يأتي، يدعو، يرى، أمهاتي... وذكر أن المانع من ظهور حركة الإعراب في الألف نحو (الفتى) التعذر أما المانع في الياء والواو فهو الثقل. وذكر أيضاً أن الفتحة تظهر في الياء والواو نحو: رأيت راعي الغنم. ولن يدعو إلا الله.

ويمنع من ظهور الحركة فيما أضيف لضمير المتكلم "ضمير النفس" اشتغال المحل بحركة المناسبة فلفظة عمي تلزم شكلاً لا يتغير: جاء عمي، رأيت عمي،

¹ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني. المكتبة العصرية، ط:1، لبنان، 2003، ج:1، ص: (19-23).

² النحو الوافي، عباس حسن. دار المعارف، ط:8، مصر، 1986، ص:31.

مررت بعمي. فنقول مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا بالحركة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة.

3-1 الإعراب المحلي: تغير اعتباري يسببه العامل، فلا يكون ظاهرا ولا مقذرا، ويكون في الكلمات المبنية¹، فإذا قلنا هذه الكلمة أو هذه الجملة في محل كذا، أي أننا لو وضعنا مكانها اسما معربا بمعناها لكان مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا، وفي بعض الحالات لو وضعنا مكانها فعلا مضارعا معربا لكان منصوبا أو مجزوما... فتكون هذه الكلمة أو هذه الجملة قد حلت محل ذلك اللفظ المعرب كجملة الحال وجملة البدل وشغلت مكانه ومعناه، وحكمه الإعرابي الذي لا يظهر عليها.²

وبهذا يكون الشيخ قد جمع في منظومته أقسام الإعراب الثلاثة: الظاهر والمحلي والتقديري، وفاته من ذلك الإعراب المحكي أو الحكائي، ولعله تجاوزه لأنه يقتضي إيراد اللفظ على هيئته، دون دخول حركات الإعراب عليه أو مراعاة موضعه في الجملة حيث يعرب حسب موقعه بحركة مقدرة يمنع ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية المناسبة.³

2. نظم الجمل التي ليس لها محل من الإعراب:⁴

¹ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني. ص: 23.

² ينظر: النحو الوافي، عباس حسن. ص: 84.

³ المرجع نفسه، ص: 31.

⁴ الديموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج: 2، ص: 44.

2-6 جملة الموصول (الصلة): أي الجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف. فالأول: نحو: "جاء الذي قام أبوه"، فالذي في موضع رفع والصلة لا محل لها. والثاني: نحو: "أعجبي أن قمت" أو "ما قمت" إذا قلنا بحرفية "ما" المصدرية وفي هذا النوع يقال: الموصول وصلته في موضع كذا، لأن الموصول حرف فلا إعراب له لفظاً ولا محلاً.¹

2-7 الجملة التابعة لجملة لا محل لها: إذا كانت الجملة معطوفة على جملة ليس لها محل من الإعراب نحو: "قام زيد ولم يقم عمرو" - إذا قدّرت الواو عاطفة لا واو الحال² - فلها نفس الحكم أيضاً، حيث أفاد العطف هنا ثبوت مضمون الجملتين.

3. نظم الجمل التي لها محل من الإعراب:³

فجمل إن أوّلت بمفرد	لها محل فاعرفنها تهته
عددها تسع كما سيأتي	نظمتها للحفظ في أبيات
كجملة الحال وجملة الخبر	وجملة الوصف كذاك تشتهر
وجملة المفعول والتابع ما	لها محلّ والجواب علم
لفعل شرط جازم وما يضاف	إليها مثل: حيث أنت لا تقف
وجملة المستثنى والمسند له	كمن تولى بعد إلا فانتبه

حاول الشيخ في هذه الأبيات أن ينظم الجمل التي لها محل إعرابي لتسهيل حفظها وفهمها لدى المتعلم بصورة بسيطة. فعرفها في البيت الأول بأنها الجمل التي إن أوّلت بمفرد كان لها محل من الإعراب، وحصرت في البيت الثاني عددها فهي تسع جمل.

¹ المصدر نفسه، ج: 5، ص: 158.

² المصدر نفسه، ج: 5، ص: 160.

³ الديموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج: 2، ص: 43.

3-5 الجملة التابعة لما له محل من الإعراب: سواء كانت التبعية لمفرد أو جملة ومحلها بحسب المتبوع، فالأولى نحو قولنا: "زيد منطلق وأبوه ذاهب" إن قَدَّرت الواو عاطفة على الخبر، فتكون جملة (أبوه ذاهب) معطوفة على الخبر المفرد (منطلق) فهي مثله في محل رفع. والثانية نحو قوله تعالى: ﴿سُورَةُ نَازِعَاتٍ آيَاتُهَا كَقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾ [المرسلات:35-36] ، فجملة (وَلَا يُؤذِنُ) محلها الجر لعطفها على جملة (لَا يَنْطِفُونَ) التي هي في محل جر لإضافة (يوم) إليها، كذلك جملة (فَيَعْتَذِرُونَ) محلها الجر لعطفها بالفاء على جملة (وَلَا يُؤذِنُ لَهُمْ).

3-6 جملة جواب فعل الشرط الجازم: وهي الواقعة بعد الفاء أو "إذا" الفجائية جوابا لشرط جازم؛ لأنها لم تصدر بفعل مفرد يقبل الجزم لفظا أو محلا¹ ومحلها الجزم، ومثال المقرونة بالفاء قوله تعالى: ﴿ذُنُوبُهُمْ وَأَبْوَابُ الرَّحْمَةِ مَقْلُوبَةً يَوْمَ الرَّجْزِ أَتَىٰ بِهِنَّ يَوْمَ يَخْرُجُ السَّيْحُ﴾ [الزمر: 23] ومثال المقرونة بإذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِمَا هُنَّ حَتْمٌ مِّنْ لَّدُنْكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ﴾ [الروم: 36] ، فكل من الجملتين: (فما له من هاد) و(إذا هم يقنطون) في محل جزم جواب الشرط.

3-7 الجملة المضاف إليها: وهي التي تقع في محل جر مضاف إليه كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِمَا هُنَّ حَتْمٌ مِّنْ لَّدُنْكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ﴾ [المائدة: 119] ، فجملة "ينفع" في محل جر بالإضافة.

3-8 جملة المستثنى: وهي التي تؤول بمفرد منصوب يعرب مستثنى، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِمَا هُنَّ حَتْمٌ مِّنْ لَّدُنْكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ﴾ [الغاشية: 22-23] ، قال ابن خروف: " من (مبتدأ)، وبعده الله (الخبر)، والجملة (من تولى وكفر) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع.²

¹ مغني اللبيب، ابن هشام. ج:5، ص:215.

² مغني اللبيب، ابن هشام. ج:5، ص:239.

3-9 جملة المسند إليه: وهي الجملة الواقعة فاعلا أو نائب فاعل أو مبتدأ أو اسما لفعل ناقص أو اسما للأحرف التي تعمل عمل "ليس" أو اسما لـ"إن" أو إحدى أخواتها. ففي قوله تعالى مثلا: **چ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ** [البقرة: 06] إذا أعرب (سواء) خبرا تكون جملة (أنذرتهم) في محل رفع مبتدأ وهو المسند إليه، وفي قوله: **چک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ** [البقرة: 11] ، فجملة (لا تفسدوا) في محل رفع نائب فاعل للفعل قيل وهو مسند إليه.

4. نظم أنواع التنوين العشرة:¹

قد حصروا التنوين في أنواع	عشرة ومالها من راع
تمكين تنكير ترنم عوض	تقابل منادی مضموم عرض
حكاية والغالي والشاذ عرف	آخرها في العد ما لا ينصرف
مثالها مرتبا ما يأتي	فافهم كلامي واضح الشيات
زيد رجال قد أصابن كلُّ	ومسلمات مطر أجل
عاقلة لاسم مذکر وإن	كان فقيرا هؤلاء لاتبن
تناسب سلاسل في آیه	عنيزة في الشعر خذها آیه
فابحث هديت عن مكان الشاهد	في الذکر أوفي الشعر كلُّ وارد

جمع الشيخ في هذه المنظومة أنواع التنوين الشائع منها والشاذ فوجدها عشرة أنواع، ثم عددها ومثّل لها بشواهد من القرآن الكريم، والشعر العربي.

والتنوين هو نون زائدة ساكنة تلحق آخر الكلمة لغير توكيد²، وأشهره أربعة أقسام:

¹ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليي. ج:2، ص:48.

² مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:264.

4-1 تنوين التمكين: وهو اللاحق للاسم المعرب المنصرف إعلاماً ببقائه على أصله، وأنه لم يشبه الحرف فيبني، ولا الفعل فيمنع من الصرف، ويسمى تنوين الأمكنية أيضاً، وتنوين الصرف، كزيد ورجل ورجال.¹

4-2 تنوين التكبير: وهو اللاحق لبعض الأسماء المبنية فرقا بين معرفتها ونكرتها، يقع في باب اسم الفعل بالسمع، ك (صه، مه، إيه)، وفي العلم المختوم بـ"ويه" بقياس نحو: "جاءني سيويوه وسيويوه آخر".²

4-3 تنوين المقابلة: وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم، نحو (مسلمات) فإنه في مقابلة النون في جمع المذكر السالم كمسلمين.³

4-4 تنوين العوض: وهو اللاحق عوضاً من حرف أصلي أو زائد أو مضاف إليه مفرداً أو جملة.⁴

أ- **تنوين عوض عن حرف:** وهو اللاحق لـ"جوار وغواش" ، ونحوهما رفعا وجرا، نحو: هؤلاء جوارٍ ومررت بجوارٍ، فحذفت الياء وأُتي بالتنوين عوضاً عنها.

ب- **تنوين عوض عن اسم (مفرد):** وهو اللاحق لـ "كل وبعض" إذا قطعنا عن الإضافة نحو: قوله تعالى: **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ** [الفرقان: 39] فتقدير ذلك: وكل إنسان أو وكل طائفة، ونحو قوله أيضاً: **چ پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ** [البقرة: 253]، والتقدير: فضلنا بعضهم على بعضهم، فلما حذف الضمير نون بعض.

¹ المصدر نفسه، ج:4، ص:266.

² مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:266.

³ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط:2، لبنان، 1424هـ/2003م، ج:1، ص:20.

⁴ مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:270.

ج- تتوين عوض عن جملة: وهو اللاحق لـ "إذ" في نحو: قوله تعالى: **چ چ چ** **ي** **ي** **ي** [الحاقة: 16]، والأصل: فهي يوم إذ انشقت واهية، ثم حذفت الجملة المضاف إليها للعلم بها وتقدم ما يفسرها، وجيء بالتتوين عوضاً عنها، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين.¹

وهناك أنواع أخرى للتتوين تقتضيها الضرورة الشعرية، وهي كما يلي:

أ- تتوين الترزم: وهو الذي يلحق القوافي المطلقة بحرف علة كقوله:

أقلى اللوم عادل والعتابن وقولي إن أصبت لقد أصابن

فجاء بالتتوين بدلا من الألف لأجل الترزم²، وذهب سيبويه إلى خلاف ذلك حيث يرى أن الترزم - وهو التغمي - يحصل بأحرف الإطلاق لقبولها لمد الصوت فيها، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاءوا بالنون مكانها.³

ب- التتوين الغالي: وأثبتته الأخفش، وهو الذي يلحق القوافي المقيدة، كقول الشاعر:

قالت بنات العم يا سلمى وإنن كان فقيرا معدما قالت وإنن

وسمي غاليا لتجاوزه حدَّ الوزن، ويسمي الأخفش الحركة التي قبله غلوا، وفائدته الفرق بين الوقف والوصل.⁴

¹ مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:275.

² شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ج:1، ص:21.

³ وفي ذلك يقول: "وأما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدَّ الصوت... فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه، أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي ما ينون وما لا ينون على حالها في الترزم ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء، وأما أناس كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المدّة النون فيما ينون وما لا ينون، لما لم يريدوا الترزم أبدلوا مكان المدّة نونا ولفظوا بتمام البناء وما هو منه..."

⁴ مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:278.

ج- تنوين الضرورة (صرف ما لا ينصرف): وهو اللاحق لما لا ينصرف ويأتي به لأجل التناسب، أو لضرورة شعرية، وهو ما يفسره قول ابن مالك:¹

وَلَا ضِطْرَارٌ أَوْ تَنَاسُبٌ صُرْفٍ ذُو الْمَنْعِ وَالْمَصْرُوفِ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ

وذلك نحو قوله تعالى: \square \square \square \square \square \square [الإنسان: 04]، فسلاسل على وزن مفاعل في الأصل لا تنصرف، ولكن نونت لتتناسب مع أغللاً. أما تنوين الضرورة فمثاله قول امرئ القيس:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي

والشاهد فيه أن عنيزة لا ينصرف، وقد نون للضرورة في البيت.

د- تنوين الحكاية: كتسمية الذكر بـ"عاقلة لبيبة" فإنك تحكي اللفظ المسمى به، والأصل في العلم المؤنث أنه لا ينون للعلمية والتأنيث، ويرى ابن هشام أنه ينضم إلى تنوين الصرف (الضرورة) لأن الذي كان قبل التسمية حكي بعدها.²

هـ- تنوين المنادى المضموم: وقد صنفه ابن هشام ضمن تنوين الضرورة³، فالمنادى إذا كان مفرداً معرفة، أو نكرة مقصودة، وجب بناؤه على الضم، ولكن إذا اضطر شاعر إلى تنوينه، كان له تنوينه وهو مضموم، وكان له نصبه، وقد ورد السماع بهما⁴، فمن الأول قوله:

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السَّلام

¹ متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك (محمد بن عبد الله الأندلسي). دار الإمام مالك للكتاب، ط:1، الجزائر، 1423هـ/2003م، ص: 131.

² مغني اللبيب، ابن هشام. ج:4، ص:284.

³ المصدر نفسه، ج:4، ص:(281-282).

⁴ شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ج:2، ص:216.

ومن الثاني قوله:

ضربت صدرها إليّ وقالت يا عدياً، لقد وَقَّتْكَ الأَوْاقِي

و- التنوين الشاذ: كقول بعضهم (هؤلاء قومك) وفائدته مجرد تكثير اللفظ.

5. نظم كتابة الألف اللينة في آخر الكلمة:¹

وألف في آخر قد تكتب	كقلم في الوضع إذ تنقلب
عن واوها من ذي ثلاث أحرف	وهكذا المجهول أصلاً فاعرف
وكل لفظ أعجمي الوضع	والمبنيات كلها فاسترع
إلا على كذا بلى حتى إلى	متى لدى أنى أولى كذا الألى
ومثل كسرى أعجمية موسى	فاكتب بياء وكذلك عيسى
ومثل دنيا وهدايا فاكتب	بألف من أجل ياء تدرب
إلا كحيي علما وما بقي	فاكتب بياء مطلقاً فترتقي

بيّن الشيخ في هذه المنظومة صور كتابة الألف اللينة في آخر الكلمة محددًا مواضع مدّها ومواضع قصرها. فقوله: "وألف في آخر قد تكتب كقلم في الوضع" أي: أنها تكتب ألفاً ممدودة كهيئة قلم (ا)، وذلك "إذ تنقلب عن واوها من ذي ثلاث أحرف" أي: حين تكون منقلبة عن واو في الثلاثي، وتكتب مقصورة (ى) إذا كان أصلها ياء ويعرف أصل الألف باتباع إحدى الطرق التالية:

- تثنية الاسم مثل: الصبا الصبيان، الهوى الهويان.
- جمعه مثل: عصا عصوات، فتى فتيان.
- رده إلى المفرد مثل: القرى القرية، الذرة الذروة.
- اشتقاق صفة مؤنثة منه مثل: لما لمياء، عشا عشواء.

¹ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج:2، ص:48.

ونشير هنا إلى أن الكوفيين يكتبون الأسماء الثلاثية المضموم أولها أو مكسوره على خلاف القاعدة¹، أي: بالألف المقصورة وهو ما عليه معظم الكتاب مثل: الضحى، الدجى، العدى.

أما قوله: "وهكذا المجهول أصلاً فاعرف" فمراده أن ما كان أصل اشتقاقه مجهولاً تكتب ألفه ممدودة. وكذلك "كل لفظ أعجمي الوضع" - أي الأسماء الأعجمية- تكتب ألفها ممدودة نحو: فرنسا، لوقا... ويستثنى من ذلك: كسرى، موسى، عيسى، بخارى، متى.

و"المبنيات كلها" تكتب بالألف الممدودة، أي: الأسماء المبنية بناء لازماً مثل: هذا، أنتما، حيثما، ما عدا: متى، لدى، أنى، أولى* والألى* * فهي تكتب بياء أي بألف مقصورة.

وتكتب الألف في آخر الاسم فوق الثلاثي مقصورة مثل: منفى مرعى، إلا إذا كانت مسبقة بياء مثل دنيا، هدايا. واستثنى من ذلك الاسم العلم بقوله: "إلا كيحيى علماً" فيحيى رغم أن ألفه مسبقة بياء إلا أنها لا تكتب بالألف الممدودة تمييزاً لها عن الفعل في مثل: يحيا النبي حياة سعيدة. وما بقي من الأسماء يكتب بالألف المقصورة مطلقاً.

¹ موسوعة الإملاء، عبد المجيد الحر. دار الفكر، ط: 1، لبنان، 2001م، ص: 68.

* اسم إشارة بمعنى أولاء.

** اسم موصول بمعنى الذين.

6. نظم رسم الحروف في آخر الكلمة:¹

وقسموا الحروف باعتبار	تعريفها وغيره يا قاري
في رسمها في آخر الحروف	أربعة لا غير في معروفي
أولها في واحد وعشره	معرفة كما يرى من قره
والثاني منها سبعة مرفوعة	مشالة بقلة مدفوعه
وثالث في ستة مردودة	إلى الورا فاتبعن حدوده
ورابع حروفه في أربعة	خلاف ما تقدمت مجعته
حروف أول تراها بعد حين	تون وواو زايهم وحرف سين
لص شقي صرّ إخوان الصفا	فهذه حروفه يا مصطفى
والثاني منها حرفه (خط ثبت) *	من بعد طاء ثم كاف قد أتت
وثالث حروفه في الجيم	والحاء والحاء وعين ميم
والغين أيضا وبها التمام	لسته يعرفها الغلام
ورابع حروفه في (زاده)	مجموعة من غير ما زياده
من غير قلب للورا أو ارتفاع	وغير تعريق كذا للإتباع

صاغ الشيخ في هذه المنظومة مجمل الأحوال والكيفيات التي تكتب عليها الحروف في آخر الكلمة باعتبار تعريفها وعدمه. فصنفها إلى أربعة أقسام:²

6-1 الحروف المعرفة: وهي التي تكتب في آخر الكلمة على شكل نصف دائرة

وعدها احدى عشرة حرفا وهي: النون والواو والزاي والسين واللام والصاد والشين والقف والياء والضاد والراء.

6-2 الحروف المشالة: وهي التي تنتهي بما يشبه الألف الصغيرة وعددها سبعة

أحرف هي: الباء والتاء والثاء والكاف والطاء والظاء والفاء.

¹ الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي. ج:2، ص:47.

* يظهر الخطأ في النسخ لأن الحروف المشالة (فقط ثبت)، والحاء من الحروف المردودة إلى الخلف.

² موسوعة الإملاء، عبد المجيد الحر. ص: 68.

6-3 الحروف المرادفة: وهي التي ترد في رسمها إلى الراء وعددها ستة وهي: الجيم والحاء والحاء والعين والميم والغين.

6-4 الحروف الأخرى: وهذا القسم خلاف ما تقدم ويضم مجموعة الحروف المتبقية أي: التي لا تعرق ولا تشال ولا ترد إلى الخلف، وحروفه هي الذال والألف والذال والهاء.

7. نظم أدوات الاستفهام:¹

وأدوات الاستفهام عشره	وواحد من بعدها مقرره
فهزمة وهل وما وأي	وكم متى وأين كيف الحي
ومن وأنى وأيان بعدها	وقد رأى بعض النحاة ردها
وكلها من الأسماء إلا	همز وهل حرفهما تجلى

أحصى الشيخ في هذه الأبيات أدوات الاستفهام وعددها إحدى عشر، وميّز الأسماء منها عن الحروف. وأدوات الاستفهام عشرة متفق عليها منها حرفان هما: الهزمة وهل وثمانية أسماء هي: (ما، أي، كم، متى، أين، كيف، من، أنى) والحادي عشر وهو (أيان) مختلف فيه.

وبهذا يكون الشيخ التليلي قد أسهم وبصورة جليلة في دعم المنظومات النحوية السابقة، خاصة وأنه ركز على ما أغفله غيره، ففي باب التنوين مثلاً يقف ابن عقيل في شرح الألفية على أربعة أقسام منه وهي: تنوين التمكين، والتكثير، والعوض، والمقابلة. ولا يذكر غيرها إلا عرضاً. بينما جمع الشيخ في منظومته الشاذ منه والمألوف. كما جمع في منظومة أخرى أنواع الإعراب أفراداً وجملاً ولا نجد ذلك عند ابن مالك.

لذا تعد جهود التليلي النحوية على قلتها وبساطتها مادتها جهوداً معتبرة إذا استعرضناها خلال الواقع الذي عاشه الشيخ وأمام الوظيفة التي تقلدها، حيث أوحى

¹ المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، محمد الطاهر التليلي. ص:10.

إليه مسيرته العلمية الطويلة وخبرته التعليمية أن لا مناص من التراكم والتعقيد عند دراسة النحو العربي؛ ومع ذلك واصل اجتهاده في صياغة القواعد بصورة تناسب مستوى المتعلمين، وحسن انتقاء للمصطلحات، وتدرج في إنشاء المنظومات.

وكلما واجهته مشكلة غزارة المفاهيم والمصطلحات النحوية، وغموض لغة التعريفات التي تبدو أحيانا ألغازا ورموزا لا يتسع عقل التلميذ لفهمها وإدراك معانيها، حاول تجاوزها لأنه يرى نفسه كالذي يطرق بابا أحكم إغلاقه، يطيل الوقوف ولا يؤذن له فيدخل، فنجده يتفنن في أداء مهمته حيث يجعل هذه الثغرات دافعا للإبداع، حين تتحول على يديه المسائل المشكلة إلى ألغاز علمية تناسب عقول التلاميذ ومستوى تفكيرهم، متأثرا في ذلك بأئمة اللغة الكبار من النحاة والبلاغيين أمثال: ابن هشام وخالد الأزهري والزمخشري والحريري والفارقي... الذين اهتموا بالألغاز النحوية وأفردوا لها مؤلفات خاصة¹ "لأنها تشتمل على معان دقيقة يحتاج استخراجها إلى توقد الذهن وعمق التفكير، فهي إذن تستهدف تنمية القدرات العقلية والملكة اللغوية فضلا عن وظيفتها الترفيهية المتمثلة في الإمتاع"².

ومن بين ألغاز التليلي النحوية هذه الأبيات التي نظمها في الحال فقال:³

أسألكم معاشر الأطفال على سميّ حاله كحالي

¹ أشهر هذه المؤلفات: (الألغاز النحوية لابن هشام، الألغاز النحوية في علم العربية لخالد الأزهري، الأحاجي النحوية للزمخشري، ألغاز الحريري...).

² الألغاز النحوية، مصطفى رجب. جريدة المصريون، مصر، (2007/12/07).

³ المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، محمد الطاهر التليلي. ص: 25.

مؤلف من أحرف الإهمال	ثلاثة قد خطرت ببالي
فجوفه يشكو من اعتلال	وقلبه لاح ولكن خال
إذا صحفت أولاً لا التالي	فربما التصحيف عنه جال
والفعل منه جال في المجال	فانظره إن أردت في المقال
منتصبا في النحو للكمال	ولم أر ارتفاعه في حال
فهاكه من دون ما إشكال	مضمّن الجواب في السؤال

ثم قدّم جوابه منظوما فقال على لسان أحد التلاميذ:¹

يا جامع الحميد من خصال	وموقظا لفكرة الأطفال
تلميذكم يجيبكم في الحال	عن لغزكم في سابق السؤال
جوابكم باللغز لفظ الحال	لأنه من أحرف الإهمال
الحاء واللام على التوالي	تكتنفان ألف اعتلال
والفعل منه أجوف المثال	وإن رددت حاءه للتالي
فذاك لاح لاح في عدّال	وإن عجمت الحاء في استفال
تجده جال الفعل بعد جال	وإن تكن خاء فذاك خال
ونصبه من جملة الأحوال	في النحو معروف بلا إشكال
فهاكه يا حضرة المفضال	جواب من أدبت من رجال

كانت هذه المحاولة تجربة مثمرة في تدريس النحو العربي قدّمها الشيخ التليي متحديا بها العديد من العقبات والحواجز التي وقفت في طريقه، على الرغم من أن التجارب الميدانية الحديثة في تدريس أنحاء اللغات الحية خلصت إلى نتيجة مثبتة نوعا ما، مفادها أن التعليمات الحديثة من الواجهة العلمية مازالت بعيدة عن الفصل

¹ المصدر نفسه، ص: (25-26).

الحاسم في أفضل طريقة لتدريس مادة النحو، بل الأكثر من ذلك هو أن الشكوك تراود بعض الخبراء حول إمكانية تحقيق ذلك في القريب العاجل.¹

المصطلح النحوي عند الشيخ محمد الطاهر التليلي

مما تقدم يتضح أن أعمال الشيخ ومنظوماته تكتسي طابع الشمول والتعميم، لأنه في مقام تعليمي يفرض عليه البحث عن أيسر سبل التبليغ، وهو ما انعكس على أسلوبه منهجا ومصطلحا، حيث نلمح تأثره بمذهب البصريين ومصطلحاتهم، ولا يكاد يظهر المصطلح الكوفي إلا نادرا.

1. المصطلحات البصرية: لقد أولى التليلي عناية للمصطلح البصري تظهر من خلال توظيفه لكمّ معتبر من هذه المصطلحات، خاصة ما تعلق منها بمقدمات النحو وأبوابه الأساسية كالإعراب والبناء، والمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، والمسند والمسند إليه، والمضاف والمضاف إليه، والحال والمستثنى والبدل... وهي مصطلحات استقرت على أيدي النحاة الأول في فترة مبكرة من نشأة النحو العربي، وتواردت في كتاب سيبويه² ومقتضب المبرد³ وأصول ابن السراج⁴ وجمل الزجاجي⁵ وغيرها من مصادر التراث النحوي البصري.

2. المصطلحات الكوفية: استعملها الشيخ محمد الطاهر التليلي إلى جانب المصطلح البصري، ولكنها تبدو بنسبة ضئيلة لا تتعدى بضع مصطلحات أوجزها فيما يلي:

¹- Le point sur la grammaire, Germain Claude/Seguin Hubert. CLE international, Paris, 1998, p:160.

² ينظر: الكتاب، سيبويه. ج:1، ص: (13-33-128-297-370).

³ ينظر: المقتضب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد). تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، (دط)، لبنان، (دت)، ج:4، ص: (80-82-300).

⁴ ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري). تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط:4، لبنان، 1420هـ/1999م، ج:1، ص: (52-68-260).

⁵ ينظر: الجمل في النحو، الزجاجي (أبو القاسم). تحقيق: علي الحمد، مؤسسة الرسالة، (دط)، لبنان، 1984، ص: (02-23-260).

1.2 النعت: وهو مصطلح مطرد في النحو الكوفي يحبذه الكوفيون للدلالة على الوصف مقابل الصفة، ويسمون ما وصف به منعوتاً، ولقد أثر التليلي توظيف هذين المصطلحين (النعت والمنعوت) في جل مؤلفاته.

2.2 الخفض: وهو مصطلح يطلقه الكوفيون مقابلاً لمصطلح الجر عند البصريين، وقد استقوه من كلام "الخليل" ولكنهم عمموا استعماله، فاطلقوه على حركات المنون وغير المنون.¹

والسبب في ذلك قدمه الزجاجي في قوله: "...ومن سماه منهم ومن الكوفيين خفضاً فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب، فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، وميله إلى إحدى الجهتين"². وقد استعمل التليلي مصطلحي الخفض والجر معاً مع تغليب المصطلح الأول، من ذلك قوله:

بالخفض والتنوين في رضوانٍ قد وردت بتوبةً ثنتان³
خير لكم بالخفض والتنوين في توبة تجدها في الحين⁴

3.2 لام جواب اليمين: تردد هذا المصطلح بين الكوفيين وأرادوا به لام جواب القسم أحياناً⁵، ولام الابتداء أحياناً أخرى⁶؛ وقد التزم التليلي بهذا المصطلح في مواضع عديدة عديدة من مؤلفاته قاصداً به المعنى الأول - لام جواب القسم - من ذلك ما أورده في معرض كلامه عن الجمل التي لامحل لها من الإعراب⁷.

¹ مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي. ص: 258.

² الإيضاح في علل النحو، الزجاجي (أبو القاسم). تحقيق: مازن المبارك، دار العروبة، (دط)، مصر، (دت)، ص: 93.

³ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. ص: 66.

⁴ المصدر نفسه، ص: 55.

⁵ معاني القرآن، الفراء. ج: 2، ص: 70.

⁶ المصدر نفسه، ج: 3، ص: 81.

⁷ ينظر: نظم الجمل التي ليس لها محل من الإعراب، ص: 100. (من هذا البحث)

4.2.التشديد: لقد ذكرنا مصطلح التشديد في الفصل الأول ضمن مصطلحات الكوفيين إذ أرادوا به التوكيد أحيانا والإدغام أحيانا أخرى، ولقد وظف التليي هذا المصطلح قاصداً به المعنى الثاني في عدة مواضع نذكر منها قوله:¹

وكل ياء نصبت في الطرف	من بعد كسرة لها فخفف
إلا حروفاً خمسة مشددة	في سور معروفة مرددة
وهي أناسي بمصرخي	الا أمانيّ كذا بني
وزد لها الأمي في الحساب	ذكره القراء في ذا الباب

وكذلك قوله:²

وبعد تنوين ونون ساكنة شدّد حروف (لم نر) المعاينة

حيث جعل التشديد مقابلاً للتخفيف وهو في ذلك قريب مما ذكره الفراء عند تعرضه لمعنى قوله تعالى: **چ و و و و** [يوسف: 110] ، وذلك بعد أن وجهه القراءات. قال: وحُكيت عن "عبد الله" (كُدْبُوا) مشددة،³ ومثله قوله تعالى: **چ پ پ پ** [البقرة: 78]، فالأمانيّ -عند "الفراء"- على وجهين في العربية، فإن من العرب من يخفف الياء فيقول: (أمانيّ)، ومنهم من يشدّد وهو أجود الوجوه.⁴

3.اجتهادات التليي في المصطلح النحوي: إلى جانب ما ذكرنا لجأ التليي في بعض الأحيان إلى توظيف مصطلحات أخرى من بنات أفكاره قصد توضيح مسائل نحوية مختلفة وتقريبها من مستوى تلامذته بمصطلحات أبسط، يؤكد ذلك قوله -رحمه الله- "وعدلت عن أسلوب القراء والمؤلفين من علماء هذا الفن وذكر مصطلحاتهم... لأن اعتقادي في أن طلبة كتاتيبنا لم يصلوا إلى درجة فهم المصطلحات العلمية"⁵ ومن بين مصطلحاته النحوية نذكر:

¹ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليي. ص: 85.

² المصدر نفسه، ص: 79.

³ معاني القرآن، الفراء. ج: 2، ص: 56.

⁴ المصدر نفسه، ج: 1، ص: 49.

⁵ رسالة رسم الألف في القرآن الكريم، محمد الطاهر التليي. المقدمة، ص: (01-02).

1.3 الحروف البسيطة: ويقصد بها ما كان على حرف واحد من حروف المعاني كواو العطف أو لام الجر أو الباء... ومن أمثلة ذلك قوله: "الحرف البسيط إذا دخل على الهمزة في أول الكلمة لا يغير شكلها ولا وضعها ومنه يفهم أن همزة القطع ينطق بها مع هذه الحروف كما لو كانت مجردة منها، فنقول: وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة، فئامنوا بالله، سأصرف، قال فإِنَّكَ، فإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وأصبح فؤاد أم موسى، بأعيننا، سأريكم، وءاية لهم، كما يفهم منه أن همزة الوصل لا ينطق بها مع هذه الحروف البسيطة ولا تشكل في الخط فنقول: واستَوَى، فاستَغَاثَهُ...¹

2.3 تسمية المد عياطا: المد من صوائت اللغة العربية يقول سيبويه: "حروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت، وتلك الحروف الألف والواو، والياء"²، واللين أعم من المد، فهو يشمل هذه الحروف ساكنة سواء أكانت حركة ما قبلها من جنسها أم لا. وعليه فإن كل مد لين وليس كل لين مد والنحويون يسمون حروف المد واللين أم الحروف.³

ويصفه الدرس الصوتي الحديث بأنه صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والقم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه أو يسبب احتكاكا مسموعا⁴.

أما تسميته بالعياط فهي اجتهاد من الشيخ التليلي في الوصف حيث يراه أكثر ملاءمة، فإذا كانت تسميته بالمد نسبة إلى امتداد الصوت عند النطق به، فهو يرى أن ذلك يتجسد في العياط وهو في اللغة الصياح، فدل به عليه لتقريب الصوت إلى فهم المتعلم.

¹ المصدر نفسه، ص:15.

² الكتاب، سيبويه. ج:4، ص:426.

³ معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي. مطبعة أمزيان، (دط)، الجزائر، (دت)، ص:210.

⁴ المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد. ص:97.

فنجده يقول مثلاً: "اعلم أن الألف تنقسم إلى ألف عياط وهي التي تنتج عن إشباع فتحة الحرف الذي قبلها مثل: قال قائل، إنا أنزلناه؛ وقد تكون بعد الحرف في السطر ويسمى الحرف الذي قبلها ثابتاً، وقد تكون فوق السطر ويسمى الحرف الذي قبلها محذوفاً... ومن خصائصها أنها لا ينطق بها لأنها امتداد لحركة ما قبلها أو لإشباع تلك الحركة"¹

3.3 تسمية المصدر أصلاً والمشتق فرعاً: الأصل في اللغة أسفل كل شيء، يقال: "أصل الشيء أصالة كان ذا أصل، وأصل الرأي استحكم وجاد، وأصل الشيء قوي واشتد. والشيء يأصل: يثبت ويرسخ... والأصل اسم يطلق على أساس الشيء كالجدار أصل للسقف..."²

أما الفرع في اللغة فهو "أعلى كل شيء، وهو ما حدد من فرع الشجرة أي غصنها، يقال: فرع الشيء يفرعه فرعاً وفراعة إذا علاه، وفرع القوم فاقهم، وفرع الجبل: صعد وانحدر... ويطلق الفرع على القوس غير المشقوق وعلى رأس المال، وشريف القوم، كما أن المال الطائل المعد يسمى فرعاً، والفرع القسم ويسمى مجرى الماء إلى الشعب فرعاً..."³ ويطلق الأصل في النحو ويراد منه ما يستحقه الشيء بذاته تارة، والقاعدة تارة أخرى، والمجرد من العلامة الثالثة، والأكثر الغالب رابعة، والأقدم تاريخياً خامسة، وغيرها من المعاني، والفرع بخلافه.⁴

أما ما ذهب إليه الشيخ التليلي فيتمثل في إطلاق لفظ الأصل على ما يصطلح عليه البصريون بالمصدر وهو الاسم الموضوع بأصالة الدال على المعنى الصادر من المحدث به عنه أو القائم به أو الواقع عليه، وهو أصل الاشتقاق و يرجح النحاة على خلاف الكوفيين الذين قالوا بمصدرية الفعل.⁵ وإطلاق مصطلح الفروع على المشتقات

¹ رسالة رسم الألف في القرآن الكريم، محمد الطاهر التليلي. ص: 03.

² لسان العرب، ابن منظور. مادة: (أصل).

³ لسان العرب، ابن منظور. مادة: (فرع).

⁴ نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ. دار الشروق، ط: 1، الأردن، 2001، ص: 75.

⁵ معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص: 123.

وهي الأسماء المأخوذة من غيرها وقد حصرها النحاة في ثمانية أسماء وهي (اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة، اسم التفضيل، الصفة المشبهة، صيغ المبالغة)¹؛ فلما كان المصدر أصل المشتقات، والمشتق فرعاً عن غيره آثر التليي مصطلح الأصل للأول ومصطلح الفرع للثاني باعتباره مفسراً له وشارحاً لمعناه، فنجده يقول:²

الحرث أصل فرعه تكررًا في مصحف أربعة وعشرا
في سورة العوان* و الأنعام ووقعت والشورى في الإسلام
وقلم وغيرها من السور كما ترى الفروع فيها تستقر

أراد التليي في هذه الأبيات أن يحصي عدد كلمات مادة (حرث) في القرآن الكريم، جامعا في ذلك المصدر وما اشتق منه وعبر عن ذلك بمصطلحي الأصل والفرع، فوجدها أربعة عشرة لفظا حدد منها مواضع الأصول وأشار إلى بعض الفروع. وبالرجوع إلى ما أورده من شواهد نجدها كما يلي:

*الأصل (المصدر): ذكر أن لفظ الحرث بهذه الصيغة -المصدر- ورد في سورة البقرة في قوله تعالى: **چ چ ي د ت ت ث ذ ذ ث ر ر ك ك ك د چ** [البقرة: 205] ، وفي سورة الأنعام في قوله: **چ ط ث ذ ف ف ف ف ف ف ف ف** **چ چ ج ج ج چ** [آل عمران: 117] ، وفي الشورى والقلم وغيرها.

*الفرع: هنا اكتفى التليي بالإشارة إلى الفعل الوارد في سورة الواقعة في قوله تعالى: **چ گ ك ك ك گ** [الواقعة: 63] ، وأثبت وجود غيره من المشتقات في سور أخرى حين قال: "...وغيرها من السور-كما ترى- الفروع فيها تستقر"

¹ المرجع نفسه، ص: 117.

⁵ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليي. ص: 105.
* سورة العوان: هي البقرة وتذكر لفظ (الحرث) فيها ثلاث مرات.

4.3 ألف الفرق: لقد كرر التليلي هذا المصطلح كثيرا في مؤلفاته قاصدا به "الألف التي تلي واو الجماعة، لتدل على أن هذه الواو ليست من أصل الفعل، بل هي في محل رفع فاعل أو نائب فاعل أو اسما لفعل ناسخ...، فإن كانت الواو من أصل الفعل نحو: ندعو أو كانت علامة رفع نيابة عن الضمة كما في جمع المذكر السالم أو في الأسماء الخمسة، نحو: معلمو المدرسة، وأبو الطيب فلا تليها ألف"¹، فنجده يقول:²

خلاف أصل جاء واو ناقص	من المضارع بنصب خالص
بألف الفرق مع الإسناد	لظاهر أو مضمّر لا باد
فهاك بعض ما ذكرت ستّه	ولا أقول كل ذاك البتّة
في البكر * يعفو ولنتلو الرعد	في الكهف لن ندعو كذاك عدوّا
في النحل أن اتلو وفي القتال **	يبلو ونبلو فاستمع مقالي

حيث وضح أن واو الفعل المعتل الناقص في حال مضارعه لا تلحقها ألف الفرق. لأن الواو أصلية فيه مثل: يعفو - نتلو - ندعو - أتلو - يبلو - نبلو...؛ ثم قال:³

وألف من ألفات الفرق	من كلمات حذفت بحق
خلاف أصل عكس ما تقدما	من ذكرها خلاف أصل علما
من ذاك جاعوا أو سعوا وباعوا	كذا عتوا تبوعوا وفاعوا

¹ المعجم الوافي في النحو العربي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبى. دار الكتب الوطنية، ط: 1، بنغازي، 1992، ص: 20.

² بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. ص: 89.

³ بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، محمد الطاهر التليلي. ص: 90.

* البكر: سورة البقرة

** القتال: سورة محمد

بينما ذكر في هذه الأبيات الأفعال التي كتبت استثناء في الرسم العثماني للقرآن الكريم دون ألف الفرق، رغم أن الواو فيها للجماعة ومن أمثلة ذلك: جاءو- سَعَوْ- باءو- عتو- تبوّءو- فاعو...

وقد اختلف النحاة في تسمية هذه الألف فمنهم من سماها ألف التفريق أو الفارقة أو الفاصلة، ومنهم من خصها بالألف الفارقة تاركا لقب الفاصلة للدلالة على الألف التي تفصل بين نون النسوة ونون التوكيد، أو الألف المزيدة للفصل بين همزتين.¹

4. تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد: رغم حرص الشيخ التليي على الدقة في ضبط مصطلحاته إلا أنه وقع في مشكلة تعدد المصطلحات الدالة على مفهوم واحد، قد يكون ذلك قصدا منه في محاولة لتبسيط مصطلحات النحو وتقريبها من مستوى المتعلمين، أو عن غير قصد - وهو الأرجح - خاصة وأنه لم يدرس علم المصطلح ولم يطلع على كتبه، نظرا لحدثة هذا العلم من جهة وانشغال الشيخ بعلوم القرآن وتفسيره من جهة أخرى، فحين تعرضنا لعشرات الكتب التي قرأها لم نجد ضمنها ما يمت بصلة لعلم الاصطلاح.

ومن هذا المنطلق نلاحظ اضطرابا في توظيفه للمصطلح النحوي حيث استعمل مثلا مصطلحي النعت والصفة معا، ومصطلحي التشديد والتضعيف معا، وضمير النفس إلى جانب ضمير المتكلم، والهمزة المجردة إلى جانب همزة الوصل وهكذا.

كما عبر بالحرف الثابت عن ألف المد المتصل رسما وعن الحرف الذي اتصلت به في آن واحد، وعبر بالحرف المحذوف عن ألف المد المنفصل رسما وعن الحرف السابق لها معا.

¹ ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبى. ص: 22.

اهتمت هذه الدراسة بموضوع المصطلح النحوي عند أحد الأعلام الجزائريين المعاصرين، من خلال رصد المصطلحات النحوية التي وظّفها محمد الطاهر التليلي في مؤلفاته. فكانت محاور البحث على الشكل الآتي: الفصل الأول تناولت فيه نشأة المصطلح النحوي العربي وأهم المشكلات التي تواجهه، والفصل الثاني: خصصته لحياة التليلي الشخصية والعلمية والآثار التي خلفها، أما الفصل الثالث فقصرته على المباحث النحوية التي تناولها والمصطلحات التي وظفها، ومما يخلص إليه البحث أن محمد الطاهر التليلي وظف مصطلحات البصريين والكوفيين معا، إلا أنه يبدو ميالا للمنهج البصري ومصطلحاته، نظرا لانتشارها وتداولها مشافهة وتأليفا.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النحوي، المصطلح البصري، المصطلح الكوفي، التعريفات، الحدود، الشروط، المصدر، المشتق، النعت...

Résumé de recherche:

Cette étude aborde le sujet du terme grammaticale chez l'un des étendards algériens contemporains au travers du détection des termes grammaticales employés par M^{ed} Tahar Etlili dans ses écrits. Les axes de cet exposé sont sous la forme suivante: le premier chapitre traite de la genèse du terme grammaticale arabe ainsi que les problèmes confrontés, le second chapitre: est consacré à la vie personnelle et scientifique et ses œuvres. Tandis que le troisième chapitre est limité aux recherches syntaxique qui les a abordées ainsi que les terme qui les a employés. Le travail de recherche déduit le fait que M^{ed} Tahar Etlili a employé à la fois les termes "Kofiins" et "Basriins" et ses termes en raison de sa diffusion et de son occurrence à l'oral et à l'écrit .

Mots clefs :

Le terme grammaticale, le terme du Basorah , le terme du koufa, définition, les caractéristiques, les conditions, l'origine (radical), le dérivé , l'adjectifs...

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ختمت به الرسالات وبعد:

إتماماً لهذا البحث وترسيخاً لما ورد فيه لا بد من وقفة قصيرة تلخص أفكاره وتبرز ثماره وتفتح آفاق البحث لاستيعاب دراسات أخرى؛ حيث حاولت في هذا البحث استقصاء وتتبع المصطلحات النحوية في آثار الشيخ محمد الطاهر التليلي واستكناه مدلولاتها فوقفت إلى النتائج الآتية:

1- لا يمكن الجزم باستقرار المصطلح النحوي ما لم تتقيد التأليفات النحوية بمصطلحات ثابتة.

2- لا تزال دعوة توحيد المصطلح حبراً على ورق لاسيما في المجال النحوي.

3- يعد الشيخ التليلي من جهاذة الأعلام المعاصرين، رغم الظروف القاهرة التي أحاطت به إلا أنه برع في ميادين مختلفة أهمها العلوم اللغوية والأدبية والدينية.

4- إذا كان التراث النحوي يتجلى من خلال مستويين: مستوى نظري تحليلي ومستوى تربوي تعليمي، فإن الشيخ التليلي ممن آثروا المستوى الثاني باعتباره يتناسب مع الفئات المختلفة من الناشئة والمتعلمين.

5- للشيخ ثقافة نحوية واسعة ودراية بأصول النحو ومدارسه جعلته يسلك منهاجاً انتخابياً، ويتطلع إلى مصطلحات نحوية بسيطة تتناسب ومستوى تلامذته.

6- استطاع الشيخ التليلي أن يحقق مكانة علمية متميزة من خلال مؤلفاته حين يبدو محافظاً تارة ومجدداً تارة أخرى.

7- بدأ الشيخ التليلي من خلال تفحص آثاره ميّالاً للمنهج البصري نظراً لما تتسم به هذه المدرسة من طابع تعليمي وجدّه التليلي مناسباً له في وظيفة التدريس.

8- ركز الشيخ التليلي في المقتطفات النحوية التي نظمها على ما أغفله ابن مالك في ألفيته، واستمد مادته من أمهات كتب النحو خاصة مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن

هشام، وإعادة صياغتها في قالب مختصرات ومتمون لا تتعدى بضع صفحات ولكنها تعبّر عن قضايا نحوية هامة.

9- وظّف الشيخ التليبي مصطلحات النحاة البصريين والكوفيين على السواء، مع الميل للمصطلح البصري في أغلب الأحيان نظرا لشيوعه وتداوله مشافهة وتأليفا.

10- رغم وفرة التصنيفات النحوية الحديثة إلا أنها لم تعط اهتماما لتوظيف المصطلح النحوي عند النحاة المحدثين.

وبالرغم من ذلك لا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقّه ولا حق صاحبه من البحث والتمحيص، ولكن حسبي أنني اجتهدت وبذلت ما في وسعي من أجل تحقيق ذلك.

لذلك يبقى الموضوع جديرا بالدراسة والتحليل خاصة وأنه يفتح آفاقا رحبة للبحث، من خلال زاويتين أساسيتين وثيقتي الصلة بهذا الموضوع ألا وهما:

1. جهود الشيخ محمد الطاهر التليبي خاصة اللغوية منها والتي لا زالت لم تخرج إلى النور بعد، إذا استثنينا هذه البصمات النحوية التي عنيت بدراسة المصطلح النحوي، تاركة ما تزخر به آثار الشيخ من مصطلحات بلاغية وصوتية... إلى دراسات لاحقة؛ هذا إلى جانب تعدد مناهج البحث فحريّ بمثل هذه المؤلفات أن تخصّ بدراسة نقدية تحدد محاسنها ومثالبها وتقف عند قيمتها ومكانة صاحبها.

2. دراسة المصطلح النحوي في جهود النحاة واللغويين المحدثين، ومدى تأثيرهم بالمدارس الأولى أو تطلعهم إلى مصطلحات نحوية جديدة، إذ التاريخ يسجل العديد من المخطوطات التي أهملتها الدراسات وغفلت عنها العيون، رغم كونها تحمل فوائد علمية لا يستهان بها.

وفي الأخير أشكر الله ﷻ على ما وفقني إليه، كما أشكر أستاذي المشرف الذي قدم لي من النصائح والتوجيهات ما كان أثره جليا في سير هذه الرسالة.

- وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب-

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: - رواية ورش عن الإمام نافع.

- رواية حفص عن الإمام عاصم.

المصادر والمراجع:

1. أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر (1962/1830م)، عمار هلال. ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، الجزائر، 1996م.
2. أخبار النحويين البصريين، السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله). تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط:1، لبنان، 2004.
3. الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي. دار غريب للطباعة والنشر، (دط)، مصر، 1993.
4. الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسّان. عالم الكتب، (دط)، مصر، 2000.
5. الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري). تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط:4، لبنان، 1420هـ/1999م.
6. أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد بن البشير العمامرة، وأحمد بن الطاهر منصوري. شركة مزوار، (دط)، الجزائر، (دت).
7. أفكار جامحة، أبو القاسم سعد الله. المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، (دت).
8. الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان). تحقيق: حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ط:2، مصر، 1422هـ/2001م.
9. الإيضاح في علل النحو، الزجاجي (أبو القاسم). تحقيق: مازن المبارك، دار العروبة، (دط)، مصر، (دت).

10. بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، الشيخ محمد الطاهر التليبي، شركة دار الأمة، الجزائر، 1994.
11. بغية الوعاة، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان). تحقيق: محمد عبد الرّحيم، دار الفكر، ط:1، لبنان، 2005.
12. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر). دار الفكر، (دط)، لبنان، (دت).
13. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، ط:1، لبنان، 1998.
14. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش. الشركة التونسية لفنون الرسم، (دط)، تونس، 1973.
15. تطور المصطلح البصري من سيبويه حتى الزمخشري، يحيى عطية عبابنة. عالم الكتب الحديث، ط:1، الأردن، 2006.
16. تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي: أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي. دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 2007.
17. التعريفات، الجرجاني (الشريف علي بن محمد). دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان، 1995.
18. تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمان حسن العارف. عالم الكتب، ط:1، مكة، (دت).
19. التهيئة اللغوية للنحت في العربية، عبد الجليل مرتاض. دار هومة، (دط)، الجزائر، 2006.
20. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني. المكتبة العصرية، ط:1، لبنان، 2003.
21. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري). دار الفكر، (دط)، لبنان، (دت).
22. الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ط:5، لبنان، 1416هـ/1995م.
23. الجمل في النحو، الزجاجي (أبو القاسم). تحقيق: علي الحمد، مؤسسة الرسالة، (دط)، لبنان، 1984.

24. الجمل في النحو، عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1990.
25. جهاد الجزائر، أحمد بن نعمان. مطبعة البعث، ط:2، الجزائر، 1998.
26. حاشية الخضري على شرح بن عقيل، الخضري (محمد بن مصطفى). دار الفكر، (دط)، لبنان، 1398هـ/1987م.
27. الحدود، علي بن عيسى الرماني. تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، (دط)، عمان، 1984م.
28. خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاكي. دار غريب، ط:1، مصر، 1425 هـ/2005م.
29. الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان). تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، (دط)، لبنان، 1952.
30. الخلاف النحوي للمنصوبات، منصور صالح محمد علي. عالم الكتب الحديث، ط:1، الأردن، 2006.
31. الدراسات اللغوية في مصر من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري، شرف الدين علي الراجحي. دار المعرفة الجامعية، (دط)، مصر، (دت).
32. دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي. دار النهضة العربية، ط:2، بيروت، 1988.
33. دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي، أحمد محمد عبد الراضي. مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، مصر، 2006.
34. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك. مطبعة جامعة دمشق، ط:1، سوريا، 1383هـ/1963م.
35. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ابن عقيل. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط:2، لبنان، 1424هـ/2003م.
36. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى. المطبعة الأزهرية، ط:3، مصر، 1344هـ/1925م.

37. شرح الكافية، الشريف الرضي. دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان، (دت).
38. شرح المفصل، ابن يعيش (يعيش بن علي). عالم الكتب، (دط)، لبنان، (دت).
39. شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، ابن الحاجب. تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط:1، مكة، 1418هـ/1997م.
40. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس. تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1418هـ/1998م.
41. الصحاح، الجوهري (إسماعيل بن حماد). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط:2، لبنان، 1399هـ/1979م.
42. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي. تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، ط:2، جدة، 1974.
43. العرفاني في الاصطلاح النحوي العربي، توفيق قريرة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات - منوبة، ط:1، تونس، 2007.
44. علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، حسن بشير صالح. دار الوفاء للطباعة، ط:1، مصر، 2003.
45. العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي: قراءات في سيرته وفكره وآثاره، مجموعة من المختصين. شركة مزوار، (دط)، الوادي، (دت).
46. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري. تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، (دط)، مصر، 1998.
47. الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، عبد الجليل مرتاض. دار هومة، ط:1، الجزائر، 2008.
48. القرآن الكريم وأثره على الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم. المكتبة الأزهرية، ط:1، مصر، 2006.
49. الكتاب، سيويوه (أبو بشر عمرو). تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط:1، لبنان، (دت).

50. لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم). تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1424هـ/2003م.
51. ———، ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، (دط)، مصر، (دت).
52. اللغة وبناء الذات، أحمد شفيق الخطيب وآخرون. سلسلة كتاب الأمة، ط:1، قطر، ع:101، 1425هـ/2004م.
53. اللمع في العربية، ابن جني. تحقيق: حامد المؤمن، مطبعة النهضة العربية، (دط)، لبنان، (دت).
54. متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك (محمد بن عبد الله الأندلسي). دار الإمام مالك للكتاب، ط:1، الجزائر، 1423هـ/2003م.
55. المدارس النحوية: أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي. دار الفكر، ط:1، عمان، 1987.
56. المدارس النحوية، التواتي بن التواتي. دار الوعي للنشر والتوزيع، ط:1، الجزائر، 2008.
57. المدارس النحوية، شوقي ضيف. دار المعارف، ط:5، مصر، (دت).
58. مدخل إلى علم المنطق، مهدي فضل الله. دار الطليعة، ط:1، لبنان، 1977.
59. المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، محمد حسن محمود. دار عمان، (دط)، الأردن، (دت).
60. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي. دار الرائد العربي، ط:3، لبنان، 1406هـ/1986م.
61. المدرسة النحوية في مصر والشام، عبد العال سالم مكرم. دار الشروق، ط:1، مصر، 1980.
62. المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، عمر حدوار. دار الإيتقان، (دط)، الجزائر، (دت).

63. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي. ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، الجزائر، 1983.
64. المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة. دار محمد علي للنشر، ط:1، تونس، 2003.
65. المصطلحات النحوية في التراث اللغوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس كمال الحديدي. دار الوفاء، ط:1، مصر، 2006.
66. معاني القرآن، الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد). تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط:2، بيروت، 1980.
67. معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، (دط)، العراق، (دت).
68. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي. مطبعة أمزيان، (دط)، الجزائر، (دت).
69. المعجم الوافي في النحو العربي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبى. دار الكتب الوطنية، ط:1، بنغازي، 1992.
70. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام. تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، سلسلة التراث العربي، ط:1، الكويت، 1421 هـ/2000م.
71. مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي). تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط:1، لبنان، 1403 هـ/1983م.
72. المفيد في المدارس النحوية، إبراهيم عبود السامرائي. دار المسيرة، ط:1، عمان، 1427 هـ/2007م.
73. المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط:2، بيروت، 1998.
74. المقتضب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد). تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، (دط)، لبنان، (دت).

75. مقدمة في النحو، خلف الأحمر. تحقيق: عز الدين التنوخي، وزارة الثقافة، (دط)، سوريا، 1961.
76. من قضايا المصطلح اللغوي العربي: واقع المصطلح اللغوي العربي قديماً وحديثاً، مصطفى طاهر الحيادة. عالم الكتب الحديث، ط:1، الأردن، 2003.
77. _____: نظرة في توحيد المصطلح واستخدام التقنيات الحديثة لتطويره، مصطفى طاهر الحيادة. عالم الكتب الحديث، ط:1، الأردن، 2003.
78. من مظاهر المقاومة الجزائرية (1830/1954)، محمد الطيب العلوي. المتحف الوطني للمجاهد، ط:1، الجزائر، 1995.
79. المنهج الوصفي في كتاب سيوييه، أحمد حسن نوزاد. دار الكتب الوطنية، ط:1، بنغازي، 1996.
80. موسوعة الإملاء، عبد المجيد الحر. دار الفكر، ط:1، لبنان، 2001.
81. النحو العربي أعلام ونصوص، محمود أحمد نحلة. دارالمعرفة الجامعية، (دط)، مصر، 2003.
82. النحو العربي: نشأته- تطوره- مدارسه- رجاله، صلاح روي. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، مصر، 2003.
83. النحو الوافي، عباس حسن. دار المعارف، ط:8، مصر، 1986.
84. النحو والنحاة: المدارس والخصائص، خضر موسى محمد حمود. عالم الكتب، ط:1، لبنان، 1423هـ/2003م.
85. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي. دار المنار، (دط)، مصر، 1412هـ/1991م.
86. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، محمد صالح الجابري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (دط)، الجزائر، 1983.
87. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملح. دار الشروق، ط:1، الأردن، 2001.

- المخطوطات:

1. التعليقات البيانية على منظومات مسائل بيانية، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
2. التوجيهات التربوية في القصائد والمقطوعات المدرسية. محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
3. الدرر الملكية في الدراري الفلكية، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
4. الدموع السوداء، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
5. رسالة رسم الألف في القرآن الكريم على رواية ورش، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
6. زهرات لغوية مقتطفة من كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
7. الفوائد المنثورة في مطالعاتي المبتورة، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
8. قواعد وكمليات في الثابت والمحذوف في القرآن، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
9. مجموع مسائل تاريخية، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
10. المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
11. منظومة قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
12. هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.
13. الهيئة المرعية في الأنكار الشرعية، محمد الطاهر التليلي، مخطوط.

- المراجع الأجنبية:

- 1- Le point sur la grammaire, Germain Claude/Seguin Hubert. CLE international Paris, 1998 .

- الجرائد والمجلات:

1. الاتجاه البغدادي في النحو العربي، عبد المجيد عيساني. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع:2، الجزائر، 2003م.
2. آراء ابن رشد النحوية في كتابه "الضروري في صناعة النحو"، د:أحمد جلايلي - أ:سمية بن صديق. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع:7، الجزائر، 2008م.
3. الألفاظ النحوية، مصطفى رجب. جريدة المصريون، مصر، (2007/12/07).
4. تيسير النحو ترف أم ضرورة؟، محمد صاري. مجلة الدراسات اللغوية، السعودية، ع:02، 2001.
5. الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، أبو القاسم سعد الله. مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، ع:102، 2003.
6. دور المدارس العربية الحرة، العيد جلولي. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع:04، 2005.
7. فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر التليلي(1910-2003)، أبو القاسم سعد الله. جريدة الشروق، الجزائر، ع:950، (2003/12/16).
8. في المصطلح العربي: قراءة في شروطه وتوحيده، علي توفيق الحمد. مجلة التعريب، سوريا، ع:20، 2000.
9. مدرسة الأندلس النحوية أم الدرس النحوي في الأندلس؟، محمد موعدي. مجلة التراث العربي، سوريا، ع:91، 2003.
10. مصطلح النحو العربي بين الأصل المادي والتطور الدلالي، محمد كشاش. مجلة التراث العربي، سوريا، ع:68، 1997م/1418 هـ.
11. النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، علي القاسمي. مجلة اللسان العربي، المغرب، ع:18، 1980.
12. نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ج. ساجر. ترجمة: جواد حسني سماعة، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع:47، 1999.

- الرسائل الجامعية:

1. الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن: دراسة وتعليق، محمد بن سعد طالبي. رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1429هـ/2008م.
2. الظواهر المعنوية والفنية في ديوان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر التليلي، فضيلة بوجلخة. رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009.
3. المصطلح النحوي في أصول ابن السراج، مسعود غريب. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2008.
4. مصطلحات علم أصول النحو من خلال كتاب الخصائص لابن جني، سليم عواريب. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2008.

- مواقع الانترنت:

1. الشيخ التليلي نموذج المثقف العربي المنشود (مقال)، محمد بوكحيل:
www.moheet.com
2. المنصوب على التقريب (مقال)، إبراهيم بن سليمان البعيمي:
www.ruowaa.com

- اللقاءات:

1. لقاء خاص مع ابنة الشيخ التليلي وزوجته في بيته بقمار، بتاريخ: (2009/03/17).

سِينِيَّة "الكتاب" لمحمد الطاهر التليلي

يا كتابي وأنت في الكل أنسي
وصروف من الزمان المنسي
عند بيعك يا كتابي ببخس
أي عين من أي نوع وجنس
أنت عندي الثمين يا عز نفسي
أنت جهري وأنت في السر همسي
في ديباج من الجهالة طمس
لإيماني الصحيح بل أنت شمسي
فهو ثقل من العوائق مرسي
أنت سعدي وغيرك اليوم نحسي
لعليم بأن ما فيك ترسي
نال مولاك في أوائل عرس
لم يدع لي ولو شجيرة خس
بعذاب ولا كشيطان مس
عن صديق وعن عدوٍّ أخس
أو يروح العدو شامتا وكس
بعت ما عز من فراش وكرسي
من متاع فبعته بفلس
أسكت الدهر منهم كل حس
أو تراموا على موائد رجس
ت الكتاب كرها بضرس
وأعول الكبار أمني وعرسي
يا كتابي نخزي النفوس ونحسي

بعتك اليوم واشتريتك أمس
بعتك اليوم خانعا لظروف
بعتك اليوم والدموع جوار
لا تساويك في النفاسة عين
أنت عندي النفيس أغلى وأعلى
أنت بكري وأنت فكري وذكرى
أنت نوري وأنت مصباح قلبي
أنت في ظلمة الطريق مناري
كل عقل لم يصطحبك إماما
أنت حظي من كل تلك البرايا
بعتك اليوم يا كتابي وإني
بعتك اليوم يا ضحية فقر
غالني الدهر وهو غول أكل
مسنى الفقر وهو داء عضال
فكتمت الأمرين فقرا وضرا
حتى لا يراني الصديق مصابي
بعتك اليوم يا كتابي وأمس
وتتبعك كل ما كان عندي
بعتك اليوم يا فداء صغار
أنا مسؤولهم ولولا ماتوا
عزني الدهر بناب فعضض
بعتك اليوم كي أقوت صغارا
لا تلمني فالضرورات حال

من كتاب ومن متاع وغرس
دون عرضي وما درى أي إنس
قالها البحتري في مدح فرس
وترفّعت عن جدا كل جبس"

وهي عذري في بيع ما كان عندي
كل هذا فعلته في خفاء
وتمثلت عند ذاك بببيت
"صنت نفسي عما يدنس نفسي"

منظومة حياة الشيخ محمد الطاهر التليبي

من الأحداث في قلق وعسر
فتلك كثيرة من دون حصر
وأتت أكلها من غير نكر
وخلفت الندامة بعد خسر
لقرآن توسّع فيه فكري
ونيلي للتقاعد عند كبري
وكرهت الحياة لنفس حرّ
بأول زيجة وقعت في صغري
لأهلي والتّباعد دون عذر
لمن لم يرض إيوائي وخيري
بإجفاف وبخس بيع غرّ
ونسيان لقرآن وذكر
تفوق سواها في خير وشرّ
على تلك التي وسمت ببشر
قضيت بطيّه أيّام عمري
على تلك الحوادث أيّ سفر
ولا من يدّعي أخبار دهري
ولا الأخبار مرجع كل أمر
قضى أيّامه في غير يسر

حياتي كلها حصرت في عشر
ولا أعني الصغائر في حياتي
فمنها خمسة درّت ومرّت
ومنها خمسة كرّت وفرّت
فخمسها التي درّت فحفظي
وتطويعي وتعليمي وحجّبي
وخمسها التي كرّت وفرّت
زواجي دون مشورة لأهلي
هروبي من مجاورتي وعوني
وبنياني المساكن فوق داري
وبيعي دون مسغبة لنخلي
وأفضعها ذهاب الرأي عني
فتلك وهذه يا صاح عشر
وقد ألقّت أواخرها لحافا
لحافا أسود سود الليالي
فلا تسأل سوى هذه القوافي
ولا زيدا ولا عمرا و بكرا
فلا الأسفار تحمل كل علم
فذلك ملخّص لحياة شخص

مرثية أحمد الطيب معاش

"وداع ورتاء النّضو العليل للعلامة محمد الطاهر التليلي"

لقد قصّرت في حق التليلي
وقد ألغيت عقدا بين شعري
وكنت نذرت إهدائي رفاقي
وغادرنا المحاضر والمربي
فلم أسمع بخطب أو مصاب
ف(طاهر) واد سوف كان فذاً
قضى دهرا يصارع ظلم دهر
وناب الفقر ينهش منه عظما
فهاجر كالرسول لجمع علم
فتُوجّ بانتصار في اغتراب
وعاد لـ (سوفه) في سوق رمل
ولمّ لم ينل حظا بمال
يصنّف أو يصفّف أو يصنّي
وقبل القرن ناطح كل قرن
ولم يوقفه عن حلبات لكم
وحاور بعض أقطاب كبار
وأنجب للجزائر خير جيل
وفي هذا الشتاء تغيب شمس
ويترك مثل (جاحظه) جبالا
فيا قطبا بعلم أو بشعر
فقد فقدت جزائرنا عظيما
إذا قصرت في حقّ لجهلي

ولم أنصفه حتى بالقليل
وبيني منذ سافر جل جيلي
وأشياخي مديحي أو عويلي
وجامع كل أوصاف الجليل
ولم أرسل من المنفى رسولي
بعلم أو حديث أو أصول
وأهوال (المعمّر) والمغول
ونصل الغدر يفتك بالعليل
برغم الأسرين أو البديل
وفاز من المعارف بالجزيل
ليشري أو يبيع برغم قيل
تحولّ للمقفع والخليل
ويخلو للنوافل والهليل
وعاش مصارعا كل الوعول
سوى غزو الهزال والنّ حول
كسعد الله أو وفد نزيل
وفاخر كل غيل بالشبول
ويصبو فرقد نحو الرّحيل
من التصنيف والعلم الأصيل
سلام شعر من نضو عليل
صبورا في الشدائد والمهول
بأصداء الرّحيل أو العويل

وجزء في منام أو مقيـل
كأنني والسقام بلا عقول
فنصبح للتجارب كالحقول
سيلتحق النطاسي بالعميل
تزول مناقب الماضي الطويل
وجنح طائري واهتاج غولي
ك (سعد) أو سعيد أو خليل
وأيامي البطيئة مثل ليالي
فترحالي غدا كالمستحيل
وأحلامي كنجمي في أفول

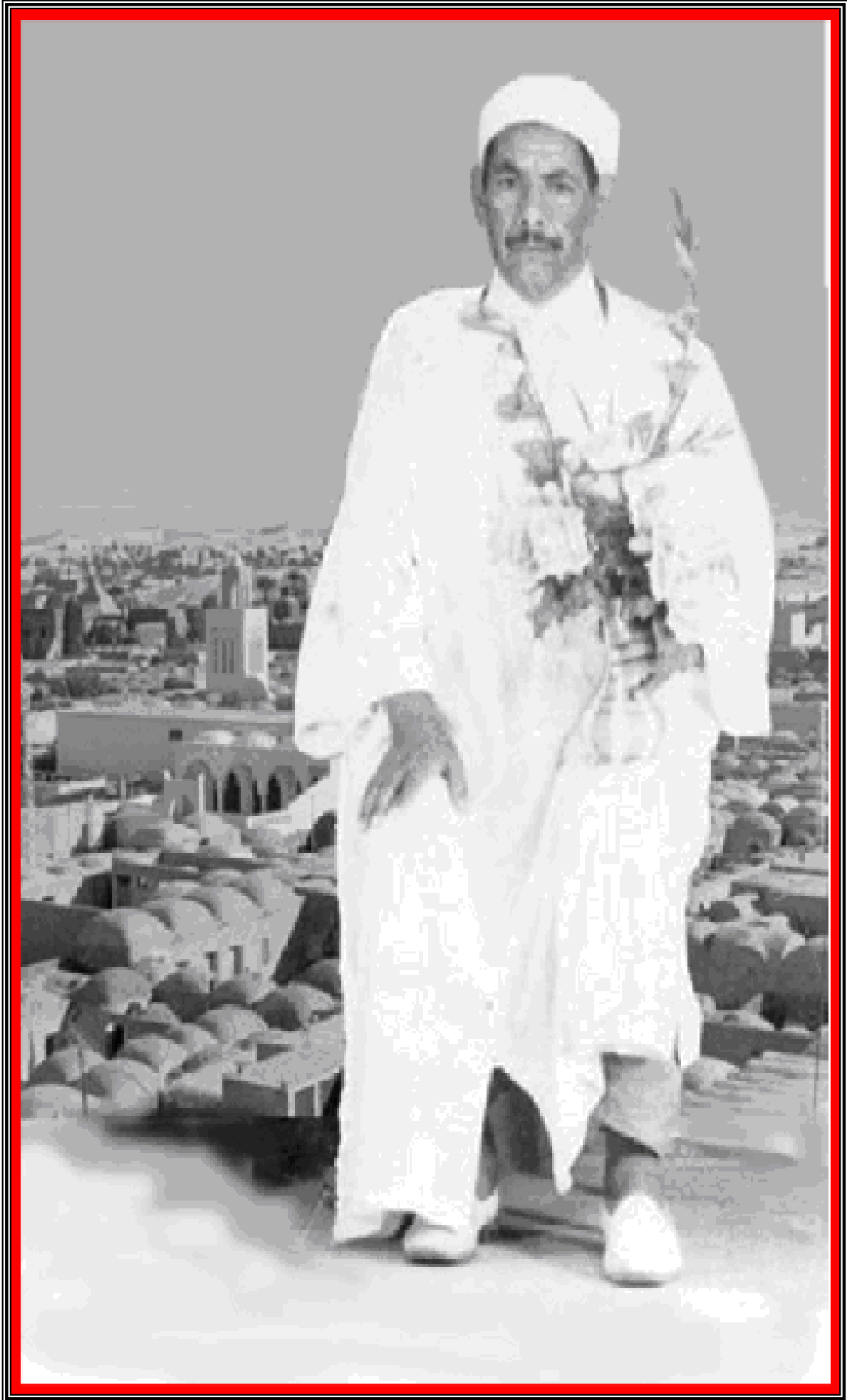
فجزء من حياتي في اغتراب
وأضناني التطبب والتداوي
وتجمعنا مطامع سوق طب
إذا هان العليل أو (الكوباي)
وإن غاب الضمير وغرَّ مال
وعذرا يا إمامي تاه مهري
وعفوا يا مرببي بعض جيلي
فلا تعب عليّ فسوء حالي
وسامحني على مر التناهي
وأسقامي تكبئني بركني

منظومة مؤلفات الشيخ التليي

لقصر وبعضها مسائل
في البحث والمسموع والتعبير
لما حواه البحث والتمحيص
لكاتب وسامع وقاري
في ذا وذا وما تراه من أذى
لكن حقا أن ذا تكلف
في كتبنا فصيح لا تدار
في كل أمر من عظيم القصد
من الذي قدسه مكتوبا
بقلم محطم مُردده

مؤلفاتي جلهـا رسائل
لقصر كذاك أو تقصير
وربما مرادنا التلخيص
إذ زبدة المخيض في اختصار
فاقتع بذا واغفر لكل من هذى
فليس حقا أنني مؤلف
فما ترى من خطايا قاري
والله يهدي كلنا للرشد
ويغفر الأخطاء والذنوبا
إذ كلها مُسْوَدَّة مُسْوَدَّة

هذه صورة لنموذج من ديوان الدموع السوداء، الجزء الثاني: "التوجيهات التربوية في القصائد والمقطوعات المدرسية"، بخط الشيخ محمد الطاهر التليلي، وفيه بعض المنظومات النحوية.



صورة العلامة محمد الطاهر التليلي